

منشورات: المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية و الجمالية

المنهج الفريد في كشف حجب المريد



خديم المنهج النبوي و النور المحمدي
عزيز الكبيطي الإدريسي الحسني

الْمَنْهَجُ الفَرِيد في كَشْف حُجُب المُرِيد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، إن السير إلى الله جملة يتضمن مرحلتين أساسيتين:

الأولى وتكون بين المريد ونفسه: وتتعلق هذه المرحلة بمجاهدة المريد لنفسه، وصبره على الشهوات، وهجره السيئات، وطرده الوساوس والظنون حيث يعمل على تطهير جوارحه و ظنون عقله وتزكية صفات نفسه. وهي تتضمن خمسة حجب:

1. حجاب النفس
2. حجاب العقل
3. حجاب القلب
4. حجاب العلم
5. حجاب الروح

أما المرحلة الثانية فتكون بين المريد وشيخه: حيث يقتبس المريد من أنوار روحه، ويتحلى من صفات نفسه، ويمحق مرآة ظلام قلبه فتتصل بالشيخ. وفيها يترقى المريد في المقامات والدرجات بدءًا من الاتصال بشيخه حتى الفناء فيه. وبعد إتمام هتين المرحلتين الأساسيين في السير إلى الله بنجاح، يتحقق المريد بالدخول إلى حضرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم، و بعدها الدخول إلى حضرة ربه عز وجل ليختم له بالرعاية والكمال.

و في هذه المرحلة الثانية على المريد أن يتحلى بسبع مقامات:

1. مقام التسليم
2. مقام الإخلاص
3. مقام المحبة
4. مقام الطاعة
5. مقام الخدمة
6. مقام الفناء
7. مقام المشاهدة

فهذا هو السير إلى الله باختصار والحمد لله رب العالمين.

و ننتقل بإذن الله تعالى إلى تفصيل المقال في المرحلة الأولى من السير إلى الله تعالى وهي بين المريد ونفسه.

المرحلة الأولى: بين المريد ونفسه

أولا/ باب الحجب النفسية:

1/ حجاب الخضوع للشيخ:

أول عقبة تقف في طريقه وتبقى كذلك مانعة له من الاتصال هي عائق النفس فأول عائق يقف أمام المريد في النفس هو حجاب الخضوع لشيخ مربي فإن النفس تأبى ذلك لأن ما سيكون بعد اتخاذ الشيخ هو مجاهدة مريرة للنفس وهو ما تأباه وتحاول إيقافه من البداية برفضها للخضوع لشيخ عارف مربي فإن خضع المريد اجتاز العقبة الأولى ولكن مع ذلك النفس لا تحمد عقباها يجب أن يبقى المريد في احتياط وحرص وحذر فالنفس في أية لحظة قد تلقي بصاحبها إلى الهاوية وتخرجه عن الصراط المستقيم وتمنعه من الوصول إلى الحق سبحانه.

2/ حجاب الرياء وحب الظهور:

أما الصفة الثانية التي تقف عائقا بعد الخضوع هي صفة الرياء ففي تلك المرحلة يكون المريد لازال مشغولا بظاهره، مفتونا به غافلا عن باطنه متوجها إلى الخلق غافلا عن الحق فيشتغل بظواهر الأمور دون أن يلتفت لصلته بالله عز وجل فيصير

مُرائيا للناس؛ يلتفت إلى نظرهم في تصرفاته، وحُكْمِهم على سلوكاته، فيُلقى في خاطر المريد حب الظهور والتقدم على بقية المريدين والاقتراب من الشيخ بظاهره فإن التفت المريد إلى صلته بالله عز وجل وقواها بالرابطة بينه وبين شيخه، وبالذكر الدائم المتواصل كل ليلة ذكرا مأذونا محمديا فيصير للمريد التفات لباطنه فيتجاوز عائق الرياء وحب الظهور وحب السمعة.

3/ حجاب الكبر:

فإذا التفت المريد إلى باطنه في هذه المرحلة وكان لا يزال في بداية سيره فصار يواكب تنزلات الأنوار ويشاهد معادن الأسرار التي لا يَتَحَصَّلُهَا إلا بإذن شيخه. فيقع في باطنه العائق الثالث وهو حجاب الكبر فإن وقع في باطنه ولم يرجع لربه، ولم يخضع لشيخه، فإنه يخرج من الطريق مكسوراً لا يُصْلِحُه شيخ غير شيخه، وأما إن جاهد نفسه وعرف حقيقة الأمور فإنه يجتاز هذا العائق لكن مباشرة يقع له حجاب آخر.

4/ حجاب الإخلاص:

إن مشاهدات المريد وتجلياته تكون قد تطورت وانبثقت عين بصيرته بِكَسْرِهِ لعائق الكبر وذلك ما يلعب بخط إخلاصه وقصده في السير إلى الله؛ فيصير قاصدا لتلك المشاهدات والكشوفات ويزول من قلبه رابط الإخلاص لله عز وجل. ولا تكون

مشاهدات المريد من البداية إلى هذه المرحلة إلا اختبارا وتطهيرا لمقامات نفسه وتزكية وتنويرا لها؛ فإن وقع حب المشاهدات في قلبه وغفل عن ربه حصل له حب نفسه فيصير منشغلا بها عابدا لها.

وفي هذه المرحلة:

أ/ ـ إما أن يُسْلَب المريد من كشوفاته، و يُعَاد إلى الباب من جديد فيظهر له الحق من الباطل، ويُجَدِّد سيره من أجل استكمال مقامات نفسه إن كان من المحظوظين.

ب/ ـ وإما أن يَعْمَى على ضلالته فينحرف إلى أعمال السحر و الشعوذة، فيصير فتحه فتحا ظلمانيا فينقطع عن شيخه بداية، ثم ينقطع عن ربه ختاما، وذلك هو الخسران المبين.

5/ حجاب الحسد والأنانية:

فأما إن عاد المريد إلى الباب واستكمل مقام الإخلاص في نفسه فإن نفسه تبدأ بالخضوع له تدريجيا، ويكون قد اجتاز أكبر حجب النفس فتبقى حجب أخرى: كالحسد مثل أن يحسد باقي المريدين، أو الأنانية كأن تبقى في باطنه نزعة حب لنفسه، فإن ذلك يزول تدريجيا بسلوك المريد للطريق مع شيخه وذلك بمحبة شيخه

فإن أحبه زال حب نفسه من نفسه وانتفت صفة الأنانية فيخرجه الشيخ من استعباده لنفسه إلى عبودية الله عز وجل وذلك عن طريق محبة الشيخ، فهنا يكمن الجواب لمن يسأل عن أهمية محبة الشيخ الكبيرة في السير إلى الله أكثر من أي شئ آخر؟ وذلك لأنها تخرج المريد من عبودية نفسه إلى عبودية الله عز وجل، ثم يبدأ بمعرفة شيخه حجابا بعد حجاب فَتَقِّر نفسه على نور من ربها لكن مع ذلك لا تكمل النفس إلا بعد توقيع الشيخ لها هذا المقام الأول المانع في المرحلة الأولى بين المريد ونفسه وهذه هي الحجب النفسية.

ثم ننتقل بإذن الله تعالى للحديث عن الحجب العقلية ثم القلبية ثم العلمية ثم الروحية ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية والحمد لله رب العالمين.

ثانيا: باب الحجب العقلية:

الحمد لله الذي علمنا من علمه وهدانا بهدي نبيه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

باب الحجب العقلية التي يجب على المريد اجتيازها ليتطهر عقله ويتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق عقل شيخه.

1/ حجاب سوء الظن:

أول عقبة تحجب المريد هو سوء الظن، وينقسم إلى قسمين سوء الظن في شيخه خاصة، وسوء الظن في بقية المريدين وعامة الناس.

أ/ سوء الظن في الشيخ:

فإن المريد إذا عزم على مصاحبة شيخ يدله على الله ويرشده إليه تَكَلَّمَ عقله مسيئا الظن به فيقول عقله: هذا ليس شيخا، أو إنه محجوب ولا يمكنه أن يفيدني فأنا أكثر منه علمًا وفهمًا، فإذا صاحبه شهرا أو شهرين وتسربت هذه الظنون إلى عقله دون أن يرى من شيخه كرامة أو علما لدنيا يكشف له نفسه (نفس المريد) فإنه يحجب بهذا الحجاب ويمنع من مصاحبة شيخه.

فإن أراد الشيخ مساعدة المريد في هذه المرحلة ثبته ببعض البراهين حتى يجتاز هذه المرحلة وهذا الحجاب، وإلا فإنه ليس من واجباته ذلك، لأن على المريد أن يكون اعتقاده صحيحا قويا متينا في الشيخ لينتفع به، ويأخذ عنه، ويتعلم منه.

أما إن كان إيمان المريد واعتقاده في شيخه على حرف فإنه إن رأى منه شيئا فهمه بهواه على أنه منافي للسنة أو منافي للشريعة أو منافي للحقيقة، فإن المريد يحجب بهذا الحجاب وهو سوء الظن بالشيخ فيكسر في سيره إلى الله عز وجل، إلا إن كان من المبتدئين، أو كان الله يريد به خيرا.. فكثير من المريدين والسالكين لطريق الله حجبوا بهذا الحجاب،

العلاج: وليتفادى المريد وقوعه في هذا الخطأ عليه أن لا يُقْبِل على الشيخ ليأخذ عنه إلا وقد نظر فيه الكمال كله، واعتقد فيه اعتقادا صحيحًا متينًا لا يزحزحه شك ولا يراوده ريب ولو رأى من الشيخ ما رأى، لأن بعض تصرفات الشيخ قد تكون اختبارا للمريد.

وعليه كذلك أن لا يُغْفِل أن في الطريق عوائقًا أكبرها سوء الظن في الشيخ وإساءة الأدب معه، وأن يحتاط في كل ما يراود فكره، وأن يخبر به الشيخ إن كان حسنا فحسن، وإن كان سيئا يصححه و يبعده عن عقل مريده، وكذلك عليه أن لا

يُغْفِل إِذْنَ شيخه وأنه يَغْرِفُ من بحر الحقيقة وأن أفعاله كلها تَجَلٍّ لصفات القدرة والإرادة فيه. وأنه يتصرف بأمر الله وبأمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

هذه الصخرة هي الدَّرَج الذي يبدأ عليه المريد السير فإن كان صلبا متينا قويا وصل السالك لمقصوده، وأما إن كان هذا الدرج هشا فمهما علا وتطاول في البنيان فإنه سيتهدم على رأسه لا محالة. فإن لم يكن اعتقاده سليما في الشيخ فإنه مهما صحبه وتعلم منه وادعى محبته، وشهد بعض كراماته، أو تجلت عليه ذاته أو مشاهداته، فإنه إذا بلغ إلى مرحلة يريد أن يجتاز فيها الدرج أو الصرح الذي بناه ليصل إلى حضرة الله فإنه يجده هشا فيهوي به فينقطع سير المريد إلى ربه، وهذا من أخطر ما يكسر المريد في سيره.

لهذا فأول درج يضعه المريد في طريقه هو الاعتقاد واليقين التام الكامل المتحقق المختوم عليه بالصدق بأن الشيخ مرب كامل موصل إلى الله عز وجل، وأن صحبته ومحبته وخدمته فيها النجاح والفلاح، وأن الابتعاد عنه والزيغ عن طريقه هو الخسران المبين، فإن كان العهد بينه وبين شيخه عُقِد على هذا الأساس، فإنه سيبلغ قصده بإذن الله عز وجل، لأن "من أشرقت بدايته أشرقت نهايته"[1]، ومن قويت وصلبت بدايته قويت وصلبت نهايته، وأن من كان بدايته يقين تام فإن نهايته يقين

[1]ـ حكمة من حكم ابن عطاء الله السكندري.

تام ومعرفة بالله عزوجل، فمن أراد بلوغ المقصود عليه أن يبني هذا الأساس. وأسس السير ما ذكرناه وما سنذكره بإذن الله عزوجل

ب/ سوء الظن بالمريدين والناس:

سوء الظن بالمريدين هو حجاب عن الشيخ أيضا لأن اعتقاد المريد سوءا في بقية المريدين هو طعن في تربية الشيخ وطعن في تلامذته، وإن طَعَن فيهم وفَسَّرَ ذلك على أنه سوء تربية الشيخ لهم فإن هذه الوسوسة تستولي على عقله وتحجبه عن الشيخ ومن ثم تحجبه عن السير إلى الله عامة.

العلاج: ـ هو أن ينظر إلى أن أي تصرف يصدر من المريدين لا يجب أن يُؤْخَذ على أنه من الشيخ، ولا ينبغي أن يعتقد العصمة في إخوانه بل عليه أن يتسامح معهم ويعفو عنهم.

ـ أن يعتبر ذلك امتحانا له، فالمريدون الآخرون في الحقيقة هم محل اختبار للمريد نفسه، فقد لا يكون المريد وصل لدرجة يختبره فيها الشيخ بنفسه، فيختبره فيها بمريديه الآخرين.

ـ هو أن ينظر لباقي إخوانه على أنهم حرمة للشيخ والنظر إليهم بهذه الطريقة يقي المريد من الزيغ في هذه المرحلة، فأحيانا قد يصدر تصرف من أحد المريدين

ويكون دافعه خيرا لكن سوء فهم المريد الآخر وحجاب عقله وظلمانية نفسه تجعله يفهم ذاك بعكسه وبالتالي يحجب عن السير إلى الله عز وجل.

أما إن وقر سوء الظن في العقل وانتقل سواده و ظلمانيته إلى القلب وتفاعل القلب بالبغض والكره فإن ذلك يطرده من حضرة الشيخ ومجلسه سواء أعلم بذلك المريد أو لم يعلم، لأن ما يجتمع عليه الشيخ ومريديه هو طاعة الله وتزكية النفس وتطهيرها للدخول إلى الحضرة النبوية وليس تدنيسها بالبغض والكراهية فإن حصل العكس و نافى السلوك المقصود فإن مآله يكون الطرد ويكون هذا له حاجبا أيضا. فليس سوء الظن في الشيخ فقط من يهلك المريد وإنما سوء الظن في أصحابه ومريديه وأسرته يُهْلِك كذلك؛ فالله عز وجل جعل الخلق كلهم اختبارا لنا وجعل لهم علينا حقا فإن كان ذلك مع العامة، فكيف بمن اختصه الله بفضله وضمه إلى مجلس وارث نوره إلا أنه يريد به الخير، فكان التأدب معه وحسن الظن به في هذا الباب أولى.

أما إن غلبت على المريد نفسه كان الأحرى به أن يراجع الشيخ في ذلك منذ اليوم الأول فيطهره ويزكيه وينزع من قلبه ما يكره الله عز وجل، ويحفظه من الزيغ في

مهالك الطريق وما أكثرها !! فطريق أهل الله مليئة بالحواجز والعوائق والمهالك لأن ثمرتها عظمى وهي الله ورسوله.

وهذا ما حبا الله به أهل الخصوصية من عباده الذين سلكوا هذا الطريق مُذْعِني أنفسهم وقد اجتازوا كل المهالك والعقبات بمحبة الله لهم ومحبتهم لله فلم يحل بينهم وبينه عائق..

2/ حجاب التأويل العقلي:

إن أغلب المريدين في بداية سيرهم يحاولون فهم بعض مظاهر السير إلى الله من مشاهدات أو رؤى بفهمهم الخاص، لكن هذا الفهم ما زال مقيدا بالهوى وعقلهم ما زال مظلما بالمعاصي والذنوب لا يطيق فهم و لا استيعاب تلك الأنوار لذا وجب عليهم التسليم لما يرونه قد خرق العادة، أو لما يرونه دون أن يعلموا تفسيره وتفسير ذلك يرجع إلى الشيخ وحده؛ فإن حاول المريد فهم بعض تصرفات شيخه التي تكون قد صدرت منه حقيقة محضة فيقع في عقله حاجب التأويل الخاطئ فيؤدي ذلك إلى بزوغ الإعراض في قلبه فيحجب المريد في هذا الباب.

فمن مبادئ السير الأولى كسر ميزان العقل ووصل مدارج الفهم بما يفسره الشيخ ويتكلم عنه لا أكثر، وأما إن زاغت العقول في الفهم والتأويل قبل أن تُطَهَّر من

الهوى وتُغْسَل من الشوائب وتُعْرض على الأنوار المحمدية فإن ذلك يقود المريد إلى الهلاك والتحطيم لا محالة. فإن ألغى الحكم بميزانه وحكم على الأمور بميزان شيخه فقد ثبت ورسخ، و العلم والفهم وكل ذاك سيأتي من بعد.

لهذا فأول ما يَصِل المريد بشيخه هو أن يترك فهمه لفهم شيخه وعلمه لعلمه، وأن يتجرد من تأويلاته وأهواء نفسه ويتجه إلى مرآة قلب شيخه فيستمد منها الفهم المحمدي ويترقى في مدارج الفهم، فإذا رأى المريد أمرا خالف الشرع في مجلس الشيخ سواء أكان من الشيخ أو من بقية المريدين، أو على الأقل خالف السُّنة أو نفى بعض الأدب، وحكم المريد على ذلك بفهمه فإنه لا يصير بينه وبين الإعراض حاجبا، وإذا لم يصر بينه وبين الإعراض حاجبا فليس بينه وبين الكسر والطرد حاجب آخر.

بل كان الأجدر به أن يرجع العيب إلى نفسه وإلى سوء فهمه وقلة علمه، ولو لم تكن فيه هذه العيوب ما قصد الشيخ، وقصده للشيخ هو إقرار لهته العيوب في نفسه التي ينبغي أن يتهمها بالسوء وبالدسيسة له، ولِيُرَاجِع شيخه في ذلك إن لم يزل حاجب الشك من قلبه، أو حاجب التأويل في عقله، فإن راجع الشيخ على بساط من المحبة والأدب دون أن يخامر قلبه شائب، فإن الشيخ ولا شك سيُجْلي هذا الحجاب عن عقله ويحثه على الفهم السوي والصحيح، وإن كان فَهْمُ ذلك الحادث لم يحن

أوانه فهو سيُشِير إليه بذاك حتى يهدأ قلبه ويرتاح عقله فيرجع إلى رشده ويرى العيب في نفسه.

وكذلك الحكم إن رأى بعض العيب من أحد المريدين حتى لو كان ذلك العيب موجودا فعلا فيه، فإن هذا الحكم أصح وأسلم لأن مقصود المريد في سيره هو سلامة عقله وقلبه وتزكية نفسه وطهارة روحه ليتأهل للدخول إلى الحضرة، لا أن يبقى محجوبا بحسه ملتفتا إلى بقية المريدين حاكما على خطئهم وصوابهم فذلك ليس بأمره إنما هو بذلك يسيء الأدب مع شيخه؛ إذ كأنه ينزل منزلة شيخه في الحكم والفهم والإرشاد، وذلك خطأ جسيم عظيم وجب التنبيه إليه في هذا الباب وما أكثر من زاغ فيه، فلهذا أول ما يجب أن يخطر في ذهن المريد إذا خالطه شك في إخوانه أو رأى عيبا صادرا منهم أن يرى تصحيح ذلك الفعل وردعه أو نفيه وإثباته من عمل شيخه، ومن تطاول على عمل شيخه في التنبيه والإرشاد فقد تطاول على شيخه وأساء الأدب معه. بل وحتى عليه أن لا يلتفت إليهم أصلا إلا إن حز ذلك في نفسه ودام معه وقتا طويلا مُؤْرِقا له وحاجبا له في سيره فحينئذ يراجع شيخه من أجل أن يسلم باطنه ويترقى فهمه ويسلك طريقه، لا من أجل أن يُعَاتَب الآخر أو يُحْكَم عليه أو يُفْسِد صورته مع شيخه، فإن كان هذا دافع المراجعة فإن باطن

المريد تترسخ فيه تصرفات هذا الفعل وتزيد ظلمانيته والعياذ بالله قد يطرد من الطريق.

كما أن العلاقة بين المريد والشيخ في السير إلى الله تعالى هي علاقة محبة وتعظيم وسلوك لطريق الحق، وردع للمريد عن طريق الظلم وحرص عليه من الضياع والزيغ في فتن الدنيا ومهالك النفس وإدخال له على الحضرة النبوية، لذلك يجب أن تقتصر علاقة المريد في سيره إلى الله على علاقته مع شيخه بالمحبة والتعظيم، وأي التفات يُحَوِّل قلبه عن قلب شيخه ويجعله ناظرا لأحد المريدين سواء بالنقص أو بالتجليل فإن ذلك يؤخر سيره و يُشْغِل قلبه بغير شيخه و بغير السير إلى الله عز وجل، ويتنافى الطلب مع المقصود فيزيغ المريد ويهلك.

فإذا نظر المريد إلى أخيه في الطريق وجب عليه أن ينظر إليه بعين الاحترام، وأن لا تربطه به علاقة غير العلاقة التي تربطه بشيخه، فبتلك العلاقة قد تربط بينهم أخوة في طريق الله، لذلك فلا يجب أن تَقْطَع تلك الأخوة التي أصلها علاقةُ المريد بشيخه علاقةَ المريد بشيخه، فإن كانت كذلك انتفت العلاقة بينهما وركز المريد على علاقته بشيخه واشتغل به وأعرض عن غيره فذلك فيه الفلاح والنجاح،

وفيه كمال الخلق وبلوغ المقصود.. وكل ما يُبْلِغ المُرِيد المقصود وجب عليه العمل به..

وقد انتهينا ولله الحمد في هذا الباب والحمد لله رب العالمين.

3/ حجاب التفويض أو التسليم العقلي للمرشد:

التفويض أو التسليم العقلي للمرشد هي الدرجة الثانية بعد الاعتقاد الصحيح المتين فيه وهو التسليم الكامل له عقلا وقلبا دون أن يَنْزِل العقل إلى عَرَض الشيء فيحاول أن يُبْدِي رأيه أو يُفَعِّل نظره، فيهوي به رأيه ونظره إلى غير مقصوده. لأن العقل لا مكان له بعد اتخاذ الشيخ الذي يَدُلُّه على الله، لأن لو كان رأيه ونظره ينفع لنفعه قبل ذلك؛ فإذا حضر المريد إلى الشيخ وقرر الأخذ عنه واتباع مشربه صار لزاما عليه أن يلغي فكره ونظره في أموره، وأن يُسَلِّم زمامه للشيخ فيأمره حين يأمره فَيُطِيع وينهاه حين ينهاه فينتهي، فيقوده بذلك الأمر والنهي إلى مسالك النجاة ويحول بينه وبين العواقب والمعيقات ويسلك به طريق النجاة.

أما إن كان الشيخ يأمره والمريد غير مُسَلِّم بعد، فَيَشْغَلُ عقله وتفكيره في هل يصلح ذلك لي؟ وهل فيه نفع أو ضرر؟، يبدو أن الشيخ لا يعلم بعض الأمور التي لو علمها لأمر بالعكس؟ فمجرد هذا التفكير هو ظلام يحل بالعقل فيَحْجُبُه عن مطالعة

الأفهام الربانية والحكم الإلهية، ويظل محجوبا بفكره ونظره والذي يقوده في الأصل هو هواه الذي لا يقود إلى سوء السبيل؛

فالتسليم للشيخ في الحقيقة هو فوز ونجاة، وارتياح لقلب المريد واطمئنان لعقله، وذلك ما يجعله يتفرغ إلى سلوك طريق الحق، أما إن ظل مشغولا بنفسه يُفَكِّر في أموره ويحاول أن يجد لها مسلكا أو طريقا فإنه يظل يبحث عن الطريق الصحيح مثقلا بهمومه وهو ما يحجبه عن طمأنينة القلب الذي إن لم يطمئن أثر في سير المريد إلى الله عز وجل، لأن القلب هو أصل السلوك حيث إن أول ما يُبْدَأ به السير في الطريق إلى الله عز وجل هو النية والتي محلها القلب والقلب مرتبط بالعقل ارتباطا وثيقا، حيث إن العقل هو الذي يسيره فإن ظل ينظر ويفكر ويبحث فإنه لا يَخْلُص إلى طريق مستقيم وإن قلبه يظل مغرقا بالهموم ثقيلا في السير إلى الله، فهذه هي الحكمة الأولى والرئيسية من التسليم للشيخ المرشد الذي يتكلف بتيسير كل الأمور ظاهرية كانت أو باطنية، فيسير أمورك كلها إلى الخير دون مجهود منك وما يطلبه منك هو اتباع أمره والسير في طريق الله عز وجل فيخف القلب ويرتاح إن سلم العقل زمامه للمرشد فيتبعه دون عناء.

أما الحكمة الثانية من التسليم للمرشد هي إخراجه من إرادته إلى إرادة الله عز وجل ولا يكون المريد مريدا حتى يخرج من اختياره إلى اختيار الله تعالى، فإن حَكَم المريد بعقله فهو إذن ما زال يعمل بإرادته فيَحْكُم على الأمور بما يريد، وهو بذلك لا زال مأسورا بإرادته ولم يدخل في سلك المريدين بعد فإن ذلك والله لا يفيد فقط يؤخره ويحجب عنه الخير إن كان في انتظاره خير.

فالعقل بظلمانيته وشكوكه وظنونه لا يستطيع أن يفهم ولا يستوعب حِكَم الله ولا صفاته المتصرفة في كونه؛ فبالتسليم يحدث هذا ـ لذلك يجب على المريد قبل أن يتخذ شيخا أن يُقِرَّ بهذه الشروط ـ أما إن كان له شيخ مسلم له وعارضه فإنه يهلك لأن الشيخ لا يأمر إلا بما يأمر الله عز وجل به، ولا يريد من المريد إلا ما يريده منه تعالى، فإن عصاه فقد عصى أمر الله وكيف يعصي الله ويبتغي الوصول إليه؛ إن هو إلا يجول في أهواء نفسه وظلمانية عقله، وإن هو إلا محجوب عن الحقيقة بأوهام فكره .. فكيف لمن كان على هذه الحال أن يعارض من سكن عرش الله في قلبه واتصل قلبه بحضرته وغابت روحه في مشاهدته؟ إن هو إلا يبتغي الهلاك ولو أراد لنفسه النجاة.

لهذا فإن عارض المريد شيخه ولم يأتمر بأمره ولم ينته بنهيه فإن مآله سوء الخاتمة، ويُرَدُّ من حيث بَدَأ فلا باب تُفْتَحُ له ولو دبَّر ما دبَّر لا في العلم ولا في الرزق ولا في المال؛ فلا يبلغ مقصوده ولا يحظ بمراده، ومن حجب بهذا الحجاب فإنه لا يصل أبدا لسمكه وخطورته.

إن عدم التسليم رَدّ للإنسان من طريق النور إلى أهواء نفسه وظلمانيتها، فإذا سَلَّم المريد نجا، وإذا اعترض هلك، وإذا فَكَّر فهو بينهما؛ إما أن يرجع عن ذلك فينجو أو يعترض فيهلك، والحمد لله رب العالمين.

4/ حجاب الوساوس:

إن الله أذن للشيطان في الوسوسة لبني آدم ليحجبهم عنه و يخرجهم من طريقة ولا زال يوسوس لنا ليخرجنا من فضل الله ورحمته كما أخرج أقواما من قبلنا، وإن محل وسوسة الشيطان هو عقل الإنسان فإن كان هذا العقل خاليا من النور متخبطا في ظلمات الوهم، متوجها إلى الأعراض غافلا عن الجواهر، فإن الوسوسة تدخل إليه وتستقر فيه، ويستقر بعد ذلك الشيطان لعنه الله.

كما أنه لابد من أن تخطر وساوس على عقل المريد وقلبه في طريق الله عز وجل، فإذا كان الإنسان يسلك طريقا يشعر فيها بالمتعة والاستقرار ولا يخالط ذهنه

ريب ولا شك ولا وسوسة ولا تفكر ولا تأمل فليعلم أنه في طريق الضياع، لأن المريد إذا التزم بطريق الله عز وجل وسار في مساره فإنه و لا بد أن يقف الشيطان في طريقه كأول عقبه ليخرجه من فضل الله ونعمته، وذلك تحقيقا لقوله سبحانه وتعالى:" أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ"[2]، والفتنة هنا تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. **فتن شيطانية**: لأن الشيطان يغوي الناس بوساوسه ويبعدهم عن طريق الله حقدا عليهم،

2. **فتن نفسية**: حيث إنه إذا وجد الإنسان حلاوة لنفسه واستقرارا لها فليعلم أنه ليس في طريق الله عز وجل لأن طريق الجنة حُفَّت بالمكاره، وطريق النار حُفَّت بالشهوات، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"[3]، والطريق إلى الله أولى من الطريق إلى الجنة بالمكاره. لهذا لا بد أن يفتن الإنسان في نفسه؛ حيث إن النفس تتهمه بأنه مقصر في حقها وبأنه يتبع طريقا يجعله يضغط عليها فتشعر بالاشمئزاز والألم والحرقة وذلك ما ينعكس على المريد فيُفْتَن به.

---

[2]ـ سورة العنكبوت، الآية: 2

[3]ـ الحديث ورد في الصحيحين، مسلم والبخاري.

3ـ فتن الابتلاءات من الله عز وجل، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

أ/ كأن يبتليك الله بالخلق فمنهم من يُحَجِّر عليك، ومنهم من يمنعك من سلوك طريقه، ومنهم من يراك مشركا أو على ضلالة فينشر ذلك في الناس ابتغاء الفتنة.

ب/ ومنها أن يبتليك الله في نفسك أو رزقك أو صحتك، كما قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ"[4] فأحيانا يضيق الرزق على المريد ليختبره هل سيصبر أم سيحيد عن طريق الحق، وأحيانا يبتليه في صحته.

وكل هذه الفتن تبين طريق الحق من طريق الضلالة؛ فعلى الإنسان فيها أن يحتمي بالله عز وجل ويتقوى بالصبر على مشاق الطريق لينال الفضل الأكبر والأعظم وهو الوصول إلى الله عز وجل.

وأما وسوسة الشيطان فإنها تكون في بداية السير إلى الله، وهذه الفتن بأقسامها الثلاثة تأتي متدرجة بتدرج سلوك الطريق، ففي البداية يُبْتَلى المريد

[4]ـ سورة البقرة، الآية: 155

بالوساوس، ثم بعد ذلك بِهَوَاجِس نفسه، وفي آخر الطريق يَبْتَلِيه الله عز وجل إما بالخلق، وإما بنقص في الأموال والأنفس والثمرات.

وأول شيء يواجه به المريد الوساوس الشيطانية المانعة من سلوك الطريق هو الاحتماء بشيخه فإن لاذ به نجا، فإنه أولى بأن يدفعها عنها إلا إن كان فيها اختبار وترقية للمريد، وإن وجد الشيخ بأن المريد سيصبر عليها ليترقى في السير إلى الله عز وجل، أما إن وجده غير ذلك فيدفعها عنه رحمة به، ويَظَّل المريد مُعَرَّضًا لهذه الوساوس حتى يترقى عقله لدرجة يقر فيه نور الله عزوجل ويتصل باطنا بعقل شيخه فيتحصن بحصن شيخه، ثم لا يصير للشيطان سلطة ولا قدرة على إغواءه. هذا إن صبر وجاهد وطرد الوساوس في البداية، وأما إن غلبته فذاك يبين ضعف إرادته في بلوغ مقصوده.

ووساوس الشيطان هي أيضا **ثلاثة أصناف**:

الصنف الأول: يُعْنَى بإخراج المريد من الطريق على أنه لا يُطِيقها، أو أنه ليس أهلا لها، فيبدأ الشيطان بالوسوسة له محاولا إقناعه بأن هذه الطريق لا يطيقها أو أنه عاجز عن فعل بعض الأشياء التي تطلب منه في الطريق.

الصنف الثاني: فيُعْنى بتشكيك المريد في شيخه مُبَيِّنًا له ومستعينا بهوى نفسه على أن هذا الشيخ لا يصلح للتربية أو أنه أقل من تلك الدرجة، مما يجعله يلاحظ على شيخه وينتبه إلى أدق تصرفاته ليجد منها ما يخرجه من الطريق إلى الله وما ذلك إلا من عمل الشيطان، فإن فَصَلَ المريدَ عن شيخه فقد نجحت مهمَّتُه وفُصِل المريدُ وهُزِم في أول اختبار له.

الصنف الثالث: يُعنى بإشغاله عن الطريق إلى الله عز وجل كأن يفتنه بالدنيا ويقول له: لم تأخذ حقك من الدنيا بعد فإن اتبعت هذا فما أنت فاعل في دنياك؟ أو يفتنه بأبناءه فيشغله بهم، و يبدأ في فصله تدريجيا عن مجالس الشيخ، ثم يَسْلُب نور الإيمان من قلبه تدريجيا؛ فكلما تغيب عن مجلس من مجالس الشيخ بعذر الأشغال الأخرى سُلِب نور الإيمان من قلبه، وأخذ يُسْلب ذاك النور شيئا فشيئا حتى لا يجد في قلبه نورًا، و لا يجد عزيمة ولا هِمَّة فيَبْرُد المريد ويستكين إلى حاله وينشغل بما انشغل به فيجد فيه ابتلاء عظيما من الله عز وجل ثم يشقى في الدارين فلا يسعد أبدا.

فاعلم وَفَّقَك الله أن الطريق كلها فتن وابتلاءات فالصبر عليها يرفع المقام ويجعلك تجتاز من مرحلة إلى مرحلة، والفشل فيها يجعلك تتأخر عن ركب السائرين

إلى الله عز وجل، وإن صاروا وتركوك فلا جُهْد لك لتلحق بهم، لهذا فالتمسك ب**الشيخ أعظم وسيلة لتجاوز المحن والابتلاءات** فإن وضع المريد أمام عينه هذه الجملة وعمل بها ليس في الرخاء فقط، بل عند اشتداد عواصف الفتن فليعلم أنه من الناجين بإذن الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

5/ حجاب ميزان العقل:

إن الله خلق العقل وجعل فيه ميزانا دقيقا كالقسطاس يزن به الأشياء والأمور ليستعين به في اتباع طريق الرشاد، وقد أقام الله عز وجل عليه حدودا معينة جعلها مربوطة ب**الواقع**، محدودة داخل **الزمان** و**المكان**، وجعل فيها بالفطرة معايير محددة تحكم بها. فإذا صحب المريد شيخا وصار به وجب على الشيخ أن يخرجه من هذه الحدود الواقعية لدى المريد وذلك بكسر ميزان العقل.

فإن المريد إذا دخل على شيخه أول مرة فإن الشيخ لا يحكي له عن أمور الباطن التي قد لا يتقبلها المريد حتى يتحرر عقله وميزانه من أقفال **الزمان** و**المكان** و**الواقع**، فهذه **الأقفال الثلاثة** تحجب عقل المريد وتأسر روحه وتمنعه من استيعاب الظواهر الغيبية وتمنع روحه من مطالعة الفيوضات الأحدية. فإن هذه العوائق/

الحجب الثلاثة الزمان والواقع والمكان تجعل عقل المريد محدودا محصورا مقيدا لهم، حيث كل ما نافى الزمان والمكان والواقع رفضه عقل المريد.

إن نور القرآن لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حرر عقول أصحابه من هذه الحدوديات الثلاثة قبل أن يحرر أرواحهم؛ وأعظم دليل على ذلك لمَّا رَوَى لهم صلى الله عليه وسلم عن حادثة الإسراء والمعراج، وما رواها لهم إلا ليحرر عقولهم من الزمان بداية، حيث أكد لهم أن حجاب الزمان يُخْرَق حيث خرقه صلى الله عليه وسلم بسفره من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج منه إلى السماوات العلى وجاوزهم إلى رب العزة، ثم عاد من السماوات العلى، ثم صعد من جديد ثم نزل، ثم صعد ثم نزل، ثم صعد ثم نزل ليخفف الصلاة عن أمته ثم نزل إلى الأرض ثم عاد إلى المسجد الحرام فوجد فراشه لا يزال دافئا في بيته، فهذا كسر لحاجب الزمن عند صحابته رضي الله عنه.

كما أنه سافر في المكان أيضا كما ذكرنا حيث سافر من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإلى السماوات العلى، وفي هذا خرق لحاجب المكان أيضا، وهذا في الحقيقة فيض لأمته أما هو عليه السلام فقد كان متحررا من كل شيء خاضعا لربه، لكنه قد فتح لنا ـ من خلال هذه الحادثة ـ أبواب السفر في الزمان والمكان.

ثم كسر حاجب الواقع أيضا بأن نافى المألوف والمعتاد، فالواقع أن من أراد السفر يحتاج إلى وسيلة و إلى زاد و إلى صحبة، كما أن من الواقع أيضا استحالة السفر في السموات لكنه صلى الله عليه وسلم كسر هذا الحاجب فسافر دون وسيلة ولا زاد، وسافر في مكان كان في عقول الصحابة غير ممكن السفر إليه، وبهذا حرر عقولهم آمن من آمن وكفر من كفر، وما فاز إلا الذين آمنوا، فهذه عبرة من عبر الإسراء والمعراج.

وكذلك بالنسبة للمريد مع شيخه لا يستفيد منه حقيقة الاستفادة حتى يتحرر عقله من هذه الحدوديات الثلاثة؛ فإذا كُسِرَت وانتفت من عقل المريد فإنه حينئذ يبدأ في الاستفادة الروحية من شيخه حيث يصاحبه في رحلة الإسراء والمعراج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما إن ظل المريد محجوبا بهم فإنه لا يستفيد هذه الاستفادة ولا يصل إلى مقصوده ـ وهو اللقاء برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ

فإن وصل المريد إلى هذا المستوى وكُشِف عنه هذا الحجاب الخامس من الحجب العقلية فإنه يتحقق بالاستفادة الباطنية من شيخه وكل ما ذكرناه من البداية إلى الآن هو سير المريد بالترتيب درجة درجة، بابا بابا، مقاما مقاما، حتى يبلغ مقصوده ويحقق مناه.

وينقسم الوافدون من المريدين على الشيخ إلى **صنفين:**

أـ الصنف الأول محجوب بحسه وعقله مقيد بالزمان والواقع والمكان:

ومقصوده من الشيخ هو طلب العلم أو دلالته على التعبد أو أحيانا أن يعالج ظاهره وباطنه وتعالج نفسه، لكنه لا يقبل أن يكسر ميزان عقله عن هذه الحدوديات الثلاثة؛ فإذا وصل مع الشيخ لهذه المرحلة إما أن يوقف الشيخ سيره قبل الوصول إليها فيظل واقفا، وإما أن يصل معه إليها فحينها يغادر المريد من تلقاء نفسه، أو يبدأ التقبل تدريجيا، وناذرا ما يحدث هذا في هذا الصنف من المريدين لأن عقولهم وروحانيتهم تكون محدودة و مقيدة غير مأذون لها في السفر لأنها لم تسافر السفر الأول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الصنف لا يستفيد من الشيخ كثيرا.

ب ـ أما الصنف الثاني: فيكون مؤهلا وعارفا بهذه الحقائق طالبا لها باحثا عن الشيخ الذي يوصله إليها: فإذا وجده تمسك به فلم يجد الشيخ صعوبة في تحريره من هذه الحدوديات الثلاثة وذلك راجع لكون روحانيته سافرت السفر الأول مع روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل من سافر معه وصحبه في ليلة الإسراء والمعراج فسيسافر مع شيخه لا محالة والذي لم يسافر فمهما حاول الشيخ

معه فإنه لن يسافر ولن يقدر، والشيخ حقيقة يكون عالما بهذا إلا أنه يقوم بواجبه حتى لا يجد المريد حجة عليه.

فبعد اجتياز هذا الحجاب يترقى المريد في سيره إلى الله عز وجل إلى انتعاش باطنه بأنوار شيخه ويقظة قلبه في مشاهدات شيخه، فحينها يبدأ السير الباطني حتى يبلغ مقصوده، وفي تلك حكم سنتطرق إليها بإذن الله تعالى، والحمد لله رب العالمين .

6/ حجاب الوهم:

الوهم من صفة تكوين العقل لأنه عكس الروح؛ فالروح معدن الحقيقة بينما العقل معدن الوهم. و عندما يتصل المريد بالله عن طريق شيخه المأذون فأن عقله يتنور ويتصل بالروح فيذوب معدنه في معدنها ثم يسري نور الحقيقة إليه فيصير مُبْصِرا بنظر الروح، ويصير حينئذ مَنْزِلًا للحقائق ومُسْتَقَرًّا للتجليات الإلهية.

أما عند بداية سير المريد يكون معدن وأصل عقله هو الوهم؛ والمقصود به هو ذلك الحجاب عن الحقائق البرزخية والحقائق الروحية والانحصار في عالم المادة، حيث إن العقل مبرمج على ترتيب أمور العالم المادي فيَبْقى ما بقي دون شيخ محجوبا عما ذكرناه من حقائق تسبق الزمن وتتأخر عنه، ومن حقائق عِيَانية

موجودة تَحْيَا معنا من عوالم أخرى: كعالم الجن والشياطين وعالم الموتى وعوالم الملكوت التي هي في الحقيقة موجودة معنا، لكن العقل المحجوب بحجاب الوهم يظل منفصلا عن هذه العوالم منشغلا بحياته الفانية، حيث إنه بشدة حجاب الوهم لا يستطيع أن يتفكر أو يتدبر ما سيحدث له بعد الموت التي هي حقيقة مؤكدة لا ينكرها منكر فتجد عقله إذا أراد التفكر في الموت لا يصل إليها ولا يدركها، بل يراها بعيدة تفصله عنها آلاف و ملايين السنوات فلا يتذوق ولا يشعر معنى الحياة الحقيقية وهي حياة الروح و الحياة بعد الموت؛ فتجده غافلا عن ربه غافلا عن الدار الآخرة.

وما يحجبه عن ذلك هي أوهام العيش من: أقارب، أسرة، جيران وعلائق تربطهم به فيشعر بأن هذه العلاقة علاقة دائمة وما الدوام إلا لله عز وجل. ويحجبه جسده كذلك بانشغاله في شهوات الأكل والشرب وفي شهوات الفرج. ويحجبه ماله.

فتجده بحجاب الوهم يرى في العلاقة بينه وبين أسرته الدوام، وفي العلاقة بينه وبين ماله الخلود، وفي العلاقة بينه وبين شهواته اللذة، ويظن أنها لذة حقيقية. وما كُلُّ ذلك إلا وهم صُورِي يمنعه من معرفة حقائق الأمور ليمنعه بعد ذلك من السير في طريق الله.

وهذه الأمور هي حجاب عن الله عز وجل فإن عزم المريد على السير في طريق الله بدأ شيخه يمحو هذه الأوهام الصورية الفانية من عقل المريد بالوجود والانشغال، ومن قلب المريد بالتعلق والمحبة، فيبدأ حجاب الوهم يُكْشَف تدريجيا عن عقل المريد وقلبه.

ومراحل كشف هذا الحجاب:

1ـ المرحلة الأولى: أن يصل عقل المريد إلى معرفة أن هناك حياة أخرى تنتظره، وأن هناك طريق أخرى غير طريق الشهوات عليه أن يسلكها، فيعلم حينئذ أن هناك طريقين: ـ طريق متجه نحو الخالق، و ـ طريق متجه نحو الدنيا والشهوات فيتنبه عقله إلى هذا الأمر.

2ـ المرحلة الثانية: إذا صحب شيخه واختار طريق الله عز وجل فإنه تلقائيا تنقص محبة الدنيا من قلبه لفائدة محبة الله، فكلما زادت محبة الله ورسوله والمرشد نقصت محبة الدنيا والتعلق بها. في هذه المرحلة يدرك المريد أن الراحة والحياة الحقيقية هي في سلوك طريق الله عز وجل لأنها هي الحياة الدائمة المتصلة بالله والدائمة بدوامه، أما الدنيا فمآله أن ينقطع عنها ويغادرها شاء ذلك أم أبى، ومع

ذلك يبقى في قلبه بعض التعلق بالدنيا كالتعلق بالأبناء والتجارة والأموال وذلك من طبيعة الإنسان.

3 . المرحلة الثالثة: عندما يصحب المريد شيخه ويصدق معه ويخلص في صحبته فإنه يبدأ الاتصال به باطنيا، وبمعرفة شيخه بباطنه تتصل روحه بروح شيخه ويصير مُعَرَّضا لتجليات الله عز وجل فتفيض روحه وتجول في العوالم، وكما سبق أن ذكرنا فالروح معدنها الحقيقة والعقل معدنه الوهم، فيفيض نور الحقيقة من الروح لاتصالها بالحق جل جلاله على العقل فيذوب معدن وهمه في معدن حقيقة الروح ويزول حجاب الوهم عن عقل المريد فيصير مبصرا بنظر الروح؛ فإن نظرت الروح إلى العوالم البرزخية نظر إليها العقل نظر المُتَفَكِّر والمُتَأَمِّل والمُتَدَبِّر ورأى أنه سيفارق كل ما في الدنيا. وإذا نظرت الروح لله عز وجل ولأنواره وتجلياته فاضت أنوارها على عقله فرأى بأن الدوام ليس إلا لله عز وجل وأن العوالم كلها ستفنى فيصير العقل مُعْتَبِرا ناظرا بنظر الروح مكشوفا، فحينئذ يستطيع السفر في المَعَارج العقلية ليدرك حقيقة هذا الوجود بأسره، وليس فقط حقيقة الدنيا بل حقيقة الوجود من يوم الخَلْق إلى يوم البَعْث والحساب والنشور وما بينهما من عوالم أخرى.

فكلما زال الحجاب عن الروح وأيقنت أكثر زال الحجاب عن العقل وفهم وتدبر، وكلما زالت حجب الأوهام عن العقل ارتفعت أستار الروح وغاصت في حقيقة الاتصال، فيظل المريد بين رفع لهذا الحجاب ورفع لذاك الحجاب حتى يصل إلى حقيقة الوجود وهو الحق جل جلاله، وذلك بعد أن يمر من كل حقائق الوجود كالبعث والحساب، والموت والحياة، والعفو والعذاب، والاتصال والانفصال، والجنة والنار، والشكر والكفر، والبقاء والفناء؛ فيعرف الفناء ويفنى الفاني في نظره، ويعرف الباقي فيتحقق ببقاءه ويصل إلى معرفته، حينئذ يكون المريد قد نجا من حجاب الوهم والحمد لله رب العالمين.

7/ حجاب الغفلة:

هو آخر حجاب يدخل المريد إلى حضرة الله تعالى حضوريا بعد أن يَمُرَّ العقل بكل تلك المراحل والحجب ـ حجابا حجابا ـ ويتخطى حجاب الوهم والغفلة عن الحقائق والدار الآخرة؛ فلا يبقى أمامه إلا حجاب الغفلة عن الله تعالى، وهذا الحجاب هو من أمتن الحجب الذي لا يتخطاه المريد إلا بعد أن يشتعل باطنه بمحبة الله عز وجل لأن المرء إذا أحب شيئا ذكره فلا ينساه وإذا أحب الله عز وجل يذكره فلا ينساه، ويستحضره فلا يغفل.

و غفلة المريد عن ربه هي التفات لباطنه عن المقصود الأعظم وذلك يؤدي إلى انتهاكه بعض محارم الشريعة أو إلى زيغه في مهالك أخرى، أما إذا حضر عقله مع الله عز وجل حضر قلبه أيضا فتحضر جوارحه فلا يرتكب معصية ولا مخالفة ولا يخطر خاطر في عقله يغضب الله عز وجل، فهو حينئذ يكون معروضا على الله عز وجل يراه ويتفحص خواطره فيستحيي المريد من أن يبدي شيئا يغضب الحق جلا جلاله وهو ناظر إليه.

وهذا الحضور الدائم مع الله عز وجل هو من الأهداف الكبرى في السير إلى الله تعالى والذي يتحقق بصحبة شيخ عارف بالله مأذون بإذن محمدي يُجْلِي مرآة عقله من الأوهام ويَلْفِتُها عن السِّوى والأغيار ويوجهها إلى الحق سبحانه فيصبح المريد دائم الحضور.

وهذا مقام عال جدا ولا يتحقق بعد صحبة الشيخ إلا **بخمسة شروط أساسية:**

1. **رغبة المريد وإلحاحه في معرفة الله والوصول إليه:** فإذا ألح المريد على ذلك جعله مقصودا له فلا يزيغ ذلك عن ذهنه ويبقى ذهنه في استحضار الله عز وجل.

2. **تقليل التعلقات الحاجبة عن الله عز وجل:** فإذا كان المرء كثير التعلق بالأوهام من شوائب النفس وغرور الشيطان وملهيات الدنيا فإن ذلك يقلص مدة حضور عقله مع الله عز جل ويجعل أغلب أوقاته التفاتا للناس، التفاتا للدنيا، و التفاتا لبعض الشؤون الحاجبة عن الله.
3. **تحديد المقصود والثبات عليه:** تحديد المقصود لكي لا يزيغ العقل عن مقصوده ويلتفت لغير ذلك، والثبات عليه بالصبر والمجاهدة المريرة من أجل بلوغه، وليس فقط تحديده وإنما المقصود من الحياة أجمع يتغير مع مرور الوقت عن طريق التأثيرات الداخلية النفسية والخارجية كالوساوس والخلق، لهذا إذا حدد المريد مقصوده وجب عليه الثبات عليه حتى لو وقف الخلق كلهم ضده.
4. **معرفة صفات الله تعالى**: فإن الشيخ يدخل المريد في بعض الصفات الإلهية ويعرفه بحقيقتها ليتمكن نورها ومعناها من عقله وقلبه ويصير متيقنا أن الله يشاهده ويسمعه.
5. **محبة الشيخ المؤدية إلى محبة الله تعالى**: فإذا رسخت محبة الشيخ في قلب المريد تحولت محبته إلى محبة الله عز وجل؛ وإذا تحولت إلى محبة الله فإنها تتملك كل الظنون والخواطر والشكوك والجوارح، بل إنها

تخالط الجسد بأكمله فيصير المريد متوجها بكليته إلى الله عز وجل فلا يغفل عنه. وإذا وصل المريد إلى هذه المرحلة فإنه يبدأ بالمشاهدة العقلية وهي مقام عال من المشاهدة ولكن ليست هي المقام الأعلى حيث ينظر المريد بعين عقله إلى عالم الغيب والباطن لأن الحجب العقلية قد زالت عنه.

لكن رغم هذا يجب أن يبقى تحت قدم شيخه حتى يُفْتَح له الفتح الأكبر بزوال الحجب عن روحه لأن الروح هي أصل الاتصال وهي التي خاطبها الله عز وجل من عالم القدم، ولكن لا يمكن أن تزول الحجب عن الروح مباشرة بل لا بد أن تزول قبلها عن النفس والعقل والقلب حتى تزول عن الروح وتصل الروح إلى خالقها والفضل في ذلك كله يعود إلى شيخه لأنه لا يمكن للمريد أن يجتاز هذه المراحل بنفسه وإلا سوف يهلك أو يزيغ في بعض مزالق الطريق وهي كثيرة لا يجيد المريد علما بها ولو علم أكثرها، لهذا فهذه الطريق هي طريق **التسليم والمحبة للوصول** وليست طريق إعمال العقل والمعرفة لأنك مهما حاولت الإحاطة علمًا فلن تدرك منها إلا النزر اليسير، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

ثالثا: الحجب القلبية:

الحجب القلبية نوعان: حجب ظلمانية وتنضوي تحتها خمس عقبات، وحجب نورانية وهي عقبتان.

I. الحجب القلبية الظلمانية:

1/ حجاب المعاصي:

القلب هو لطيفة إلهية ومضغة ربانية صنعه الله وجعل الذات تطيع أمره فهو المتحكم في الذات كلها بتفكيره واعتقاده وبمشاعره وأحاسيسه وبقوة إرادته ومحبته، وهذا القلب هو محل نظر الله تعالى؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلا صوركم وأجسادكم بل ينظر إلا ما عقدت عليه قلوبكم"، وقلب المؤمن في الحقيقة هو عرش الله عزوجل لأن له قوة نورانية كبرى وهي قوة المحبة.

وأول حجاب يحجب قلب المريد هو حجاب المعاصي فأي معصية أو ذنب ارتكبه المريد بإحدى جوارحه السبعة وهي: (اللسان والأذن والعينين واليدين والقدمين والبطن والفرج)، فان القلب يُغَطَّى بحجاب أسود يسمى: "حجاب الران" قال الله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"، فإذا تطاول المريد في

العاصي فانه يختم على قلبه بهذا الحجاب؛ فيحجب عن الله عز وجل ولا يصل إلى معرفته وكلما طُهِّرَت جوارح المريد وقَلَّ ارتكابها للمعاصي خَفَّ الظلام على قلبه وبدأ الرَّان الأسود يبهت تدريجيا حتى يُزَال ويستقر نور الله في قلب المريد، فكل معصية تدخل الظلام إلى القلب، وكل طاعة تدخل النور إليه،

فالحجاب الأول الذي يُجْلى عن قلب المريد هو حجاب المعاصي والذنوب فلكي يستقر نور الله في قلبه يجب أن يخلو قلبه من الظلام لأن النور والظلام لا يجتمعان في قلب واحد، كما أن المعاصي هي بنفسها حاجب عن معرفة الله تعالى وهنا الحديث عن مقام الإسلام فكل مسلم ليس فقط المريد عليه أن يأتمر بأمر الله وينتهي بنهيه لكن المريد أولى بهذا لأنه يطمح إلى معرفة الله والوصول إليه.

العلاج: وللتغلب على هذا الحجاب هناك منهج عملي لتطهيره و إزالته من القلب وهو جدول يملأه المريد وهو كالتالي:

جدول تزكية اللسان : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق باللسان

1. الغيبة.
2. الخداع.
3. الكذب.
4. النميمة.
5. اللغو.
6. شهادة الزور.
7. الجدال والمراء.
8. التفوه بكلمات من السحر الأسود للإتيان بأعمال خارقة.
9. غناء أو تلاوة كلمات شاعرية أو جنسية أو فاحشة.
10. مدح الناس المتكبرين أو المغرورين في وجودهم.
11. النفاق كأن تكون ذا وجهين.
12. الوعود الكاذبة عن عمد.
13. عدم الرضا عن نعم الله ونكرانها.
14. إفشاء أسرار الغير.
15. الحلف كذبا متعمدا باسم من أسماء الله أو صفاته.
16. الحديث عن النفس وكمالها وصفاتها.
17. الحديث عن تفاصيل العقيدة دون سابق علم.
18. الاستهزاء بالآخرين والسخرية منهم.
19. الكلام الجارح أو الشتائم.
20. وصف الله أو رسله أو ملائكته أو الصحابة (رضوان الله عليهم) بما لا يليق بهم.

جدول تزكية اللسان : ب: مرحلة التنوير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للسان

1. استخدم لسانك بلطف ولين أثناء حديثك.
2. استخدمه في تلاوة القرآن وذكر الله.
3. تحدث فقط عندما يستدعي الأمر ذلك، ولا تفرط أبدا في نفس منحه لك الله عز وجل.
4. استخدمه في إعطاء النصيحة ومساعدة الآخرين في هذه الحياة.
5. استخدمه في الدعوة إلى الله تعالى
6. تمسك بالابتسامة في الفرج والضيق فعندما يراك الناس يروا فيك طريق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

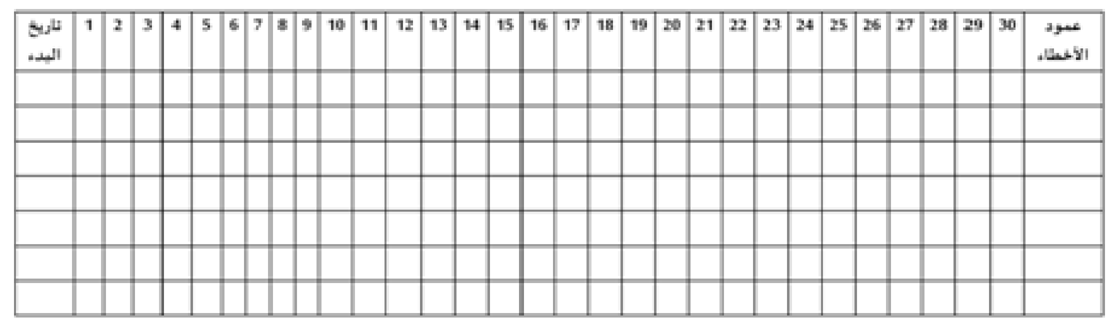
جدول تزكية العين : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق بالعين

1- حفظهم من النظر إلى الأشياء الدنيوية التي تأخذك عن ذكر الله.
2- التأمل المفرط في الدنيا وتمني امتلاكها بشدة.
3- النظر بحسد أو كره أو بطريقة محقرة.
4- حفظهم من النظر بشهوة للجنس الاخر.
5- حفظهم من النظر للصور المحرمة في المجلات أو الفيديومات على شبكة الإنترنت أو التلفاز.

جدول تزكية العين : ب: مرحلة التنوير

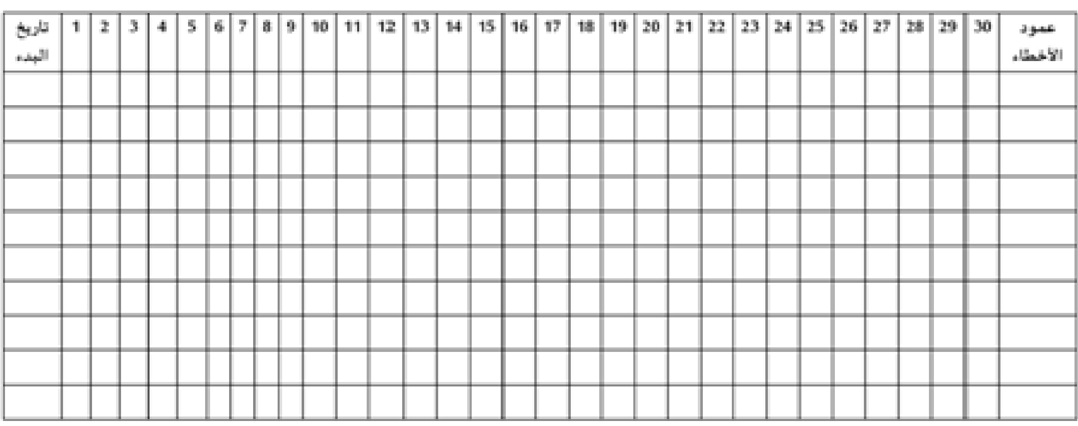


تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للعيـــــن

1. غض البصر حتى عن الأشياء المباحة.
2. عود عينيك طاعتك ولا تجعلهما تلتفت إلى اتجاهات مختلفة.
3. حاول ألا تطلق عينيك في النظر إلى ما حرم الله.
4. متى نظرت إلى العالم فاجعل هذا في التفكر في الله والآخرة واجعلها فرصة لتذكر نعم الله و وتذكر يوم القيامة.
5. استخدم عينيك للنظر من خلال عين التفكر.
6. انظر بعين الرحمة وكن متسامحا وتذكر أن لكل منا قصوره (تجاوز النظر للعيوب وانظر إلى النور والخير بداخل الآخر)
7. عندما تفتح أو تغلق عينيك تأمل واستشعر صفات الله وأسمائه التسعة وتسعون الحسنى. حاول أن تعيش ما عاش ورأى وشعر به الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم). اجعل كل طرفة عين بداية جيدة. واجعل كل طرفة عين في النظر والتفكر في أسماء الله الحسنى، وانتظار رؤية الله. والشوق للقائه ولقاء رسوله و أوليائه

جدول تزكية الأذن : أ: مرحلة التطهير

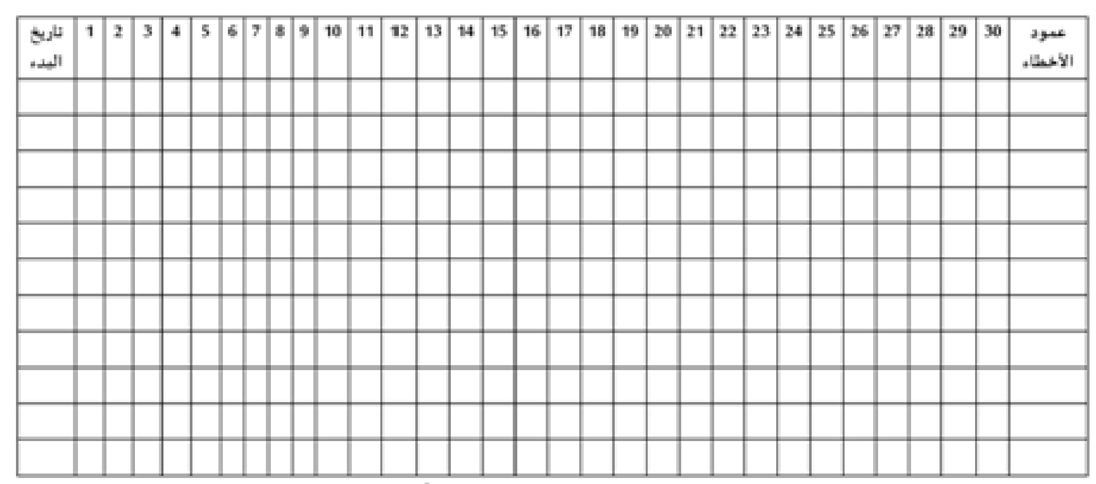


تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق بالأذن

1- التجسس على كلام الاخرين..	3- سماع اللغو و الكلام الفارغ..
2- سماع الكلام السيء مثل النميمة والغيبة..	4- سماع الغناء الفاحش والموسيقى الصاخبة..

جدول تزكية الأذن : ب: مرحلة التنوير



تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للأذن

1. الاستماع إلى القرآن الكريم و الأحاديث	3. الاستماع إلى النصائح والإرشادات من أهل النصح..
2. الاستماع إلى الذكر و المديح النبوي والعلم النافع	4. كل صوت تسمعه ينبغي أن يذكرك بالله وبالآخرة.

جدول تزكية البطن : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق بالبطن

1- الأكل والشرب المبالغ فيه
2- أكل وشرب الحرام
3- تناول الخمور
4- تناول المخدرات

جدول تزكية البطن : ب: مرحلة التنوير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للبطن

1/ اتباع السنة أثناء الأكل والشرب.
2/ كن شاكرا في أي لقمة تأكلها مع تذكر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
3/ تذكر من هم أقل حظا منك
4/ كل بطريقة سليمة وصحية
5/ أعط بدنك حق الطعام ومارس الرياضة
6/ لا تجعل بطنك تتحكم في بدنك

جدول تزكية اليدين : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما بتعلق باليدين

1/ عدم ملامسة الجنس الآخر بشهوة
2/ عدم ملامسة الأعضاء التناسلية بدون حاجة
3/ لا تستعمل يديك في السرقة أو في الاحتيال
4/ لا تؤذ بيديك أحدا كيفما كان
5/ لا تستعملهما في الإشارات السيئة
6/ لا تكتب بها الإساءات ولا الافتراءات

جدول تزكية اليدين : ب: مرحلة التنوير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي لليدين

1. استخدم يديك في مساعدة المحتاجين
2. تصدق بهما
3. اشكر الله على نعمة اللمس، وعلى اليدين والأصابع والكف
4. تخيل أن يديك يسبحان الله دوما
5. استخدم يديك في كتابة كل ما يرضي الله عز وجل
6. اجعل كل لمسة وإحساس يذكرك بالآخرة، فحرارة النار تذكرك بحرارة جهنم، ونعومة الوسادة تذكرك براحة وهدوء الجنة

جدول تزكية القدمين : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق بالقدمين

1- عدم مقابلة غير المحارم
2- عدم الدخول لممتلكات الغير دون سابق موافقة
3- عدم ارتياد دور السينما لمشاهدة الأفلام السيئة
4- عدم ارتياد الأماكن التي ليس لها فائدة كالمقاهي والنوادي
5- عدم الذهاب لأصدقاء السوء الذين يشجعونك على المعاصي

جدول تزكية للقدمين : ب: مرحلة التنوير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للقدمين

1. السعي للأماكن الصالحة كالخطو للمساجد ولمجالس الذكر ولأماكن الصالحين
2. تخيل في كل خطوة تقوم بها أنك تسير إلى جانب الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم
3. تعلم دعاء السفر والتزم به في كل أسفارك
4. تعلم دعاء الدخول إلى المسجد والخروج منه
5. تعلم المشي كما كان يمشي عليه السلام

المَنْهَجُ الفَرِيد في كَشْف حُجُب المُرِيد

جدول تزكية الفرج : أ: مرحلة التطهير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

النظام التأديبي فيما يتعلق بالفرج

1- كشفها لغير الزوج(ة) 2- عدم الوقوع في زنا المحارم 3- عدم الوقوع في الزنا بشكل مطلق	4- عدم ممارسة الشذوذ 5- عدم الإتيان من الدبر مع الزوجة 6- مداعبة الأعضاء التناسلية بدافع الشهوة 7- عدم الطهارة والنجاسة

جدول تزكية الفرج : ب: مرحلة التنوير

تاريخ البدء	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	عمود الأخطاء

قواعد الاستخدام الإيجابي للفرج

1. تعلم الاستنجاء على السنة 2. إسباغ الوضوء 3. دوام الطهارة	4. شكر الله على نعمة الزواج 5. تعلم دعاء الدخول و الخروج من الخلاء والالتزام به 6. تعلم دعاء الجماع و الالتزام به

2/ جفاف قلب المريد من ذكر الله تعالى:

علامة القلب الميت هو جفافه من ذكر الله تعالى ومن استشعار قربه وعظمته وهيبته، فتراه منحصرا منغمسا في الشهوات مُعْرِضا عن الحق جل جلاله، يقضي يومه ويبيت ليله غافلا مُعْرِضا عن الله عز وجل، لا يصله نور الله تعالى ولا يحظ بقربه؛ فتجده لا يستطيع استشعار حضور الله بل يشمئز من مجالس الذكر ويستحلي مجالس اللهو واللعب.

وحال صاحب هذا القلب أنه إذا جلس في مجلس للذكر شعر بنفور وانقباض وضيق في صدره وسارع إلى الخروج منه فتلك علامة إهمال الله لعبده ـ والعياذ بالله ـ قبل أن تكون علامة حجاب القلب وجفافه؛ فإن الماء الذي يسقي قلوبنا هو ماء الذكر، والنور الذي يَسْطَع فيها ليُحْيِيها هو نور المعرفة، ومن لم يكن قلبه على هذا الحال فإنه مُبْعَد محجوب عن الله عز وجل لا يُرْجى منه طاعة ولا خضوع ولا طلب ولا إلحاح على معرفة الله، بل تَجِد كُلَّ همه الانشغال بالأمور الفانية والإعراض عن الباقي جل جلاله. فذلك قلب لاه غافل لا يستحضر الموت ولا يستحضر ساعتها، و لأصحاب هذه القلوب يقول لهم الله عز وجل: "ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون" ويبقى القلب ما بقي في حالته هته ميتا وجافا من ماء

الذكر وأنوار المعرفة، فإذا اجتمع المريد بشيخه والأصل في المريد الإرادة فإنه قبل كل شيء يحثه على ترك المعاصي واجتناب طرقها، ثم يُحْيِي قلبه بذكر نوراني محمدي مأذون فَيَغْسِل قلبه من حجاب الرَّان الذي هو حجاب المعاصي، ويسقيه بماء الذكر فينتعش القلب ويستيقظ من حالة غفلته. وإذا ما استيقظ واستحلى لذة الذكر وخامرت قلبه خَمْرتُه فإن أنوار المعرفة تُشْرِق في قلبه ليستقر قلبه على الإيمان، ويُعْرِض عن اللهو والنسيان ويُطِيع الله فيما أمره، ولا يعصيه فيما نهاه، فإن لذة الذكر تحرمه لذة المعاصي، كما أن لذة المعاصي تحرم لذة الذكر.

لكن شريطة أن يداوم المريد على هذا الذكر بالمحبة والصدق وصفاء باطنه في اتصاله بشيخه فيطغى النور على قلبه ويخرج من ظلمات الجهل والغفلة، وأيضا شريطة أن يكون الذكر مأذونا محمديا لفظه من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوره من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينها ينتفع المريد به ويعرض عن اللهو واللعب وتجد قلبه دائما مشتعلا بذكر الله ومتوهجا بنوره، فذلك قلب حي أحياه الله بذكره وليست حياته بذكر صاحبه، وإنما حياته بذكر الله له، فإذا ذكر الله عبدا ذكره عبده وإذا ذكره عبده ذكره الله جل جلاله وأحيى قلبه ووصله به وصقل مرآته، فأمَّا ذكر الله عز وجل فهو السابق وعنايته هي السابقة وفضله هو الأكبر، فإذا أحب الله عبدا أوصله إلى شيخ يُحْيِي قلبه بالذكر الذي يصله بالله عز وجل،

فمن علامة القبول عند الله ومحبة الله لعبده أن يذكره الله فيذكره عبده فإذا ذكره صار من المقربين المحبوبين عند الله تعالى.. هذا والحمد لله رب العالمين.

3/ حجاب غياب المعية: لا يكون استحضار الله عز وجل واستشعار معيته بالعقل فقط، بل ينبغي أن نستشعر وجدانيا نظره إلينا فيحصل في القلب جراء ذلك حالة من الأدب ومن الحياء في حضرة الله عز وجل، فيستحيي المريد أن يَنْظُر إليه الله تعالى وهو في حالة لا ترضيه عز وجل، فإذا استشعر هذا النظر الإلهي فإنه يردع شهوة نفسه وظلمانيتها القاتمة ويخضعها لأمر الله تعالى؛ فينجو بذلك الاستشعار القلبي من ارتكاب ما يُغْضِب الله عز وجل، وينجو كذلك من كثرة الالتفات والتوجه للخلق وطلب المنزلة في قلوبهم، بل يبقى مستشعرا حضور الله عز وجل في قلبه غير غافل عنه فيزداد قلبه نورا بفعل هذا الاتصال، ويزداد العبد خضوعا لمولاه.

ففي المستوى الأولى وهو المستوى العقلي تكون المعية استحضارا عقليا فقط. فإذا داوم عليها المريد يوما بعد يوم، شهرا بعد شهر، سنة بعد سنة، بدأت ثمارها وبذورها تنبت في القلب فتؤدي إلى استشعار عظمة الناظر وهيبته، واستشعار وجوده وقربه، فَتُثْمِر الحياء منه في حالة الزلل مما يجعل العبد يعيش مُرَاعِيا لنظر الله تعالى

فقط، فَانِيًا عن مراعاة نظر الخلق ومنزلته في قلوبهم أو إلى تعظيمهم له أو إلى استنقاصهم من قدره فلا يَهُمُّه كل هذا إن كان في حضرة الله عز وجل متلذذا بقربه، شاكرا لنعمته، ذاكرا بعظمته، متوجها لصفاته الفاعلة في الخلق.

فيرى المريد في هذه المرحلة أن كل ما يحدث في الكون هو من تصريف الله عز وجل حيث لا مُتَصَرِّف غيره، فَيُنْزَع عن القلب حاجِب البعد عن الله، والانفصال القلبي و المشاعري عنه، حيث يجب على المريد أن يرتبط بكل مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بالله عز وجل ليَتَرَقَّى في مقامات القرب، ويَسْلَم من أذى الخلق، ويَجْتَاز الابتلاءات التي يمتحن بها في هذه المرحلة من اتهام الخلق له، وإعراضهم عنه، وبغضهم فيه، فيرتبط بالله عز وجل أكثر فأكثر حيث يُصْقَل هذا الحجاب و كل يوم يزول بعضه حتى يجد المريد نفسه ليس بينه وبين الله حاجب، بل يجد نفسه كلية في استشعار وجود الله الوجود الحق الذي تُحْجَب عنه القلوب بغياب المعية، فإذا نزعه المريد صار مستشعرا لهذا الوجود بكل حواسه وأطرافه وكيانه فيخشع لله في حركاته وسكناته، ويذكره ما تعاقب الليل والنهار، وهو في كل يوم يزداد مقاما في القرب من الله تعالى.

لكن مع ذلك يجب أن يحذر المريد من أي شاغل قلبي يشغله عن استشعار هذه المعية وموانعها كثيرة، فمنها: كثرة الالتفات وكثرة العلائق، ومنها قلة الذكر؛ فإن قل الذكر قل استشعار قرب الله عز وجل، ومثال ذلك: إن كان شخص قريب منك فأنت دائما تذكره، و إن كان أكثر قربا منك فإنك تحدثه في كل أحوالك، أما إن كان بعيدا فإنه لا يخطر لا على عقلك ولا على قلبك فكأنه غير موجود فيُحْجَبُ عنك وُجُودُه؛ فكذلك بالنسبة لله عز وجل وله المثل الأعلى. والحمد لله رب العالمين.

4/ حجاب الإعراض عن الله:

من الحجب القلبية التي لابد أن تصادف المريد في بدايات سيره حجاب الإعراض، أي إعراض القلب عن الله عز وجل بكثرة الالتفات والانشغال بغيره فتجد القلب مليئا بشهوات النفس وبظلمات المعاصي وبحبة الدنيا وبالالتفات إلى الخلق، فلا تجد فيه متسعا لنور الله تعالى ولذكره تعالى لأن محبة الدنيا تكون قد سيطرت عليه وغلفت باطن المريد فتجده متعلقا بها تعلقا كبيرا.

ولكي نوضح هذا الأمر فالتعلق بغير الله هو إعراض عن الله تعالى؛ إذ لا يوجد من يَدَّعي بحق أنه يجمع تعلقين في قلبه لقوله تعالى: "وما جعلنا لرجل من قلبين في

جوفه"[5] ، إما أن يكون القلب متصلا بالله متعلقا به يستمد من أنواره، وتسطع فيه تجليات الحق، أو تجده معرضا عن الله عز وجل مفتونا بمحبة الدنيا.

ومن علامات إعراض الخلق عن الحق جل جلاله:

1) العلامة الأولى هي الانغماس في محبة الدنيا: فيصير القلب مظلما بظلام المعاصي والشهوات، يحجب صاحبه عن الله؛ فإذا حجبه التعلق بالدنيا عن الله تعالى ضَيَّق عليه الله عيشَه فلم يجد لذة ولا حلاوة ولا راحة قط في حياته إلا التعاسة والنقمة والسعي في جمع الأموال حتى يلاقي الله وهو على ذلك الحال.

2) العلامة الثانية للإعراض فهي الانشغال بالخلق: مما يلفت التوجه عن الله تعالى. فيصير القلب متعلقا بالخلق ملتفتا إليهم في اليوم خمس عشرة ألف مرة، ولا يلتفت في اليوم حتى مرة واحدة،

3) العلامة الثالثة لذلك هي المحبة المَرَضِية الظلمانية لغير الله تعالى: التي تلوث القلب بظلام المحبة الواهمة فتحجبه عن تجليات الحق الدائمة، ولا يوجد ما يهلك قلب المريد أكثر من هذه المحبة المَرَضِيَة التي

[5] _

تزرع الفتنة في القلب فتجده مفتونا ببناء المشاريع وتحصيل الأموال والخوض في التجارة متعلقا بأعراض الدنيا.

- **علامة الاقبال على الله:**

وعلامة الإقبال على الله هي الإعراض عن الدنيا والحياة الفانية واستلذاذ الحياة مع الله تعالى في قرب الله تعالى بمحبة الله تعالى التي تجعل قلب المريد منشرحا لتجليات أنوار الحق، فإذا تجلت ذرة من أنوار الحق على قلب المريد أغنته عن الدنيا وما فيها واستهوت باطنه وأخضعته إلى الله تعالى بالافتقار والمحبة فلا يرى للوجود الواهم صورا غير أنه في دار مآلها الفناء. وهذه من علامة الإقبال على الله تعالى والإعراض عن الدنيا.

- **كيف يعلم المريد بحالته؟**

وليعلم المريد هل هو في إعراض أم في إقبال فلينظر إلى قلبه فإن كان يجد لذة في ذكر الله تعالى، ويجد راحة في باله ونورا في باطنه، ويجد في باطنه نفورا من الدنيا واغترابا مع الخلق. فذلك مقبل على الله.

أما إن التفت المريد إلى قلبه فوجد أن اغترابه مع الحق جل جلاله، وإذا جلس مجلسا للذكر اشمئز قلبه، وشعر بقبض في باطنه، ومرارة في نفسه، وبادر إلى

الخروج، فإذا خرج وتوجه إلى الدنيا وجد ارتياحا ولذة، وإذا ذهب إلى الخلق وجد انسجاما ووحدة فتلك علامة الإعراض.

فليعلم المريد أنه لا يصلح له إلا أن يكون مقبلا بكل جوارحه على الله تعالى مُعْرِضا عن كل ما سواه لأنه طالب لله جل جلاله، لكن رغم ذلك لابد أن يحدث له تعلق بالدنيا ولو أنه مُلِح في طلب الله لأن ذلك من ضروريات الحياة إلا أن يشغله ذلك التعلق بها فيحجبه عن الله تعالى. أما إذا حصل للمريد في سيره تعلق بالدنيا لكن لم يشغله ولم يحجبه عن الله إلا أنه يريد الرخاء ليعيش حياة كريمة فإن الله يؤتيه منها كيفما شاء وأنَّى شاء ولا ينقص ذلك من رزقه ولا من ماله، فإذا أعرض عن الدنيا جاءته الدنيا خاضعة وفاز فوزا عظيما وهو الفوز بالله تعالى والقرب منه، فيترقى في مقامات محبة الله تعالى حتى تخرج محبة الدنيا من قلبه وحينئذ يرسخ قلب المريد على محبة الله تعالى والتوجه إليه ويُعْرِض عن كل ما سواه إلا أن يعيش معهم ويعيش فيهم عيش المغترب المستأنس بالله تعالى غير محتاج إليهم زاهدا في الدنيا والخلق و التعلقات الزائفة بل وفي كل ما سوى الله تعالى.

وهذا ما وجب على المريد تحصيله لأنه إذا نظر بِوُسْع النَّظَر وتَذَكَّر وتَدَبَّر وَجَدَ أن الحياة الحقيقية هي الحياة مع الله وبالله، و أن الفناء هو التعلق بالفناء وكل ما

سوى الله فناء، لكنه حجاب الوهم يحجب العقل من معرفة هذا، وحجاب الإعراض يمنع القلب من تطبيقه، والسير في طريق الله هو تطهير ورفع لهته الحجب حتى يصل العبد لحضرة الله عز وجل ويفنى فيه ويفنى عن كل ما سواه، والحمد لله رب العالمين.

5/ حجاب محبة النفس والتعلق بها:

حيث يرى المريد نفسه خيرا من باقي المريدين فيحب نفسه ويفضلها ويسهر على راحتها، فإذا تعارض أمر نفسه مع أمر الله عز وجل فَضَّل أمر نفسه، فتصير محبته لنفسه ورؤيته لها ـ على أنها تستحق على الله شيئا ـ حاجبة له عن معرفة الله عز وجل فالقلب وظيفته المحبة، فعليه بداية أن يتخلص من حجاب محبة الدنيا، ثم يتخلص من حجاب محبة الخلق، ثم يتخلص من حجاب محبة نفسه فتسري إليه محبة الله فيضيء ويتوهج ويتصل بالمحبة العظمى، أما إذا ظل المريد يرى نفسه على أنه شيء، ويرى وجوده في مجلس الذكر زيادة ورفعة، فيصير سلوكه طريق الحق من أجل أن يسمو بنفسه، ويحقق مراده بنفسه لا بربه فيتيه في هذا الباب. ويصير محط نظره ومقصوده هو محبته لنفسه وليست محبته لله عز وجل.

ولكن إن تخلص المريد من محبة نفسه باتباع شيخه وطاعته ومحبته والتفاني في خدمته فإنه يترقى في هذا الباب لدرجة ينسى فيها نفسه سواء أ أكرمه الخلق أم أهملوه، رضوا عنه أم سخطوا عليه، فلا يهمه كل ذلك بل ما يهمه هو محبته لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورضا الله عليه، فلا يحجب المريد بنفسه ويتجاوز هذا العائق، ولو رأى من نفسه ما رأى من كرامات أو خرق للعادة أو إجلال له أو مكانة عنده بين الخلق. فإذا خلا القلب من هذه المحبة الزائفة تجلت فيه أنوار محبة الله عز وجل، وإذا صار المريد محبا لله تعالى تخطى كل العقبات وكل ما يحول بينه وبين محبوبه وذلك هو الغرض من تطهير القلب وكشف الحجب عنه حتى تسطع فيه محبة الله تعالى فتخامر القلب كله، ثم تخامر الجسد كله، فلا يبقى في المريد محبة لغير الله بل لا يبقى في قلبه مكان لأي شيء سوى محبة الله تعالى لا لكره ولا ضغينة، ولا تعلق و لا لشيء غير نور ربه ومحبته.

فوظيفة القلب المحبة، والوجود فيض من محبة، لهذا كان للقلب السلطة على الذات لأنه هو نبع المحبة فإن امتزجت المحبة القلبية مع المحبة الأزلية التي فاضت على الوجود، بلغ المريد المقصود واتصل بعالم الأزل باتصال روحه به لتعود بمحبة أكبر للقلب وهكذا فدرجات المحبة لا تنتهي، والحمد لله رب العالمين.

II. الحجب القلبية النورانية:

أما الحجاب السادس والسابع فهي حجب نورانية تخص مراقي ومدارج الارتقاء في محبة الله تعالى، كما قلنا في الباب السابق إن الروح باتصالها بعالم الأزل ترجع بالمحبة للقلب وكلما زاد القلب محبة زادت الروح اتصالا، وهكذا يظل المريد في ترق في درجات المحبة.

6/ حجاب محبة الله لعطاءه:

والحجاب السادس هو حجاب محبة الله لكرمه وعطاءه وفضله وإحسانه وجوده على الخلائق؛ فإذا ارتبطت محبة الله بعطائه انتفت هذه المحبة بمنعه، وهما صفتان في الله عز وجل، وإذا أحب المرء أحدا أحب كل صفاته وليس بعضها؛ ففي هذه المرحلة يحب المريد الله تعالى لأنه يعطيه ويتفضل عليه، ولأنه خصه برحمته لأنه جمعه بشيخ قاده إليه وقربه منه، فيشعر المريد بالامتنان لله في قلبه فيحبه لهذا الغرض، ويكون المريد هنا في درجات عالية من الاتصال والقرب، و يكون اتصاله في أعلى مراقيه ولكن تربيته الكاملة لم تنته بعد، فيرقيه الشيخ من هذه المرحلة أحيانا بمنع الله عز وجل فإذا منعه دَلَّه الشيخ على محبة الله وأمَدَّه بها وأظهر له في تجلياته بعض صفات القبض والمنع حتى تَقِرّ محبة المريد لله تعالى في كل أحواله، لأن

محبة المريد في هذه الدرجة تكون مازالت مرتبطة بنفسه فإن كان نفسه في حالة بسط كان محبا وإن كانت في حالة قبض لا تنتفي المحبة ولكن تقل، فإن جاوزها صار محبا لله في كل أحواله بأي تَجَلٍّ تجلى عليه الله عز وجل وهنا الحجاب السابع.

7/ حجاب محبة المريد لله لتجلياته:

وهو حجاب محبة المريد لله لتجلياته فيصير المريد في هذه الدرجة يحيا بتجليات الله وتنزلاته على قلبه فتصير محبة المريد مرتبطة بذلك التجلي النوراني العظيم لله عز وجل، وفي ذلك خوف على المريد أن يعتقد بأن ذلك التجلي هو الله عز وجل بذاته، أو أن تنحصر محبته لله تعالى على تجلياته وأنواره وأسراره والله عز وجل منزه عن ذلك، لأن المحبة يجب أن تكون خالصة لوجهه الكريم سواء تجلى بصفات البسط أو صفات القبض، بصفات الجلال أو بصفات الجمال، وسواء تجلت أنواره و وجوده على قلب المريد أو لم يتجل عليه، وفي تجليه هذا يجب أن يحب الله كما هو وليس كما يتجلى عليه، فإن تجلى عليه بأعظم صوره ومظاهره وتنزلاته فإنه لم يتجل عليه بكليته، وإن العبد لا يطيق ذلك لهذا كان عليه أن يحب الله كلية كما هو، وأن يحب كذلك ما لم يظهر منه كذاته وباقي أسماءه وصفاته وتجلياته التي لا تنحصر، فإن الله يتجلى على كل عبد من عباده المقربين في الأرض

بصورة؛ فلا يجزم المريد أن تلك الصورة هي الله تعالى بل إنها من بعض صوره ومظاهره وتجلياته، وما ذاك التجلي إلا ليصل المريد إلى الوجود الحقيقي لله تعالى وليس ليراه أو يحيط به، فلا يحيط المريد أبدا بتجليات الله.

وإذا كَلَّم الله عز وجل فلا يجزم بكلامه أنه كلامه في كلامه، ولكن إنما هو كلامه بصفات قدرته فلا يطيق قلب العبد كلاما لله تعالى إلا قلب سيدنا محمد. وفي هذه الدرجة ولو اتصل العارف بقلب سيدنا محمد فإن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصية في ذلك لا يبلغها أحد من العالمين ولكن يبلغ بعضها، وذلك من فضل الله عليه.

أما الخطاب الأحدي في ذات الله تعالى فإنه فضل من الله على المريد ليظهر له بعض تصريفه في صفاته، فإذا عرفها المريد تصرفت صفات الله فيه فحينها يصير عارفا بالله عز وجل، والمعرفة هنا سرها وحقيقتها وكمالها أن تتصرف صفات الله في المريد بداية بالتجلي والمشاهدة، ثم بالكلام والخطاب، ثم بالكلام في الكلام، ثم بالكلام الأحدي في الذات، ثم تجل لتصريف الصفات في الذات، ثم تجل لتصريف الصفات في العالمين، ثم تجل لتصريف الصفات فيه.

فإذا رأى مرشده أنه يتصرف فيه فقد كملت تربيته، لأن تصرف الشيخ هو تجل لتصرف الله بصفاته. فإن كان من الكاملين فهو صفة لله في الكون والصفة تتجلى في الصفة فإذا تجلت صفة الشيخ في قلب المريد فإنه يتيقن أن صفات الله تجلت فيه فحينئذ يصير المريد عارفا بالتجلي، وناظرا بالقرب، ومسؤولا عن الحقيقة، ووارثا للسر حافظا له، والحمد لله رب العالمين..

رابعا/ باب الحجب العلمية:

ننتقل إلى الجزء الرابع في هذا الكتاب المبارك وهي الحجب العلمية لدى المريد التي يقطعها السالك في طريق الله حجابا حجابا ليصل إلى مقصوده ومطلوبه.

والعلم هو بعض المعارف، وله ثلاث مستويات: معارف ظاهرية، ومعارف باطنية، ومعرفة إلهية. لذا سينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة حجب ظاهرية، وثلاثة حجب باطنية، والحجاب الأخير هو حجاب المعرفة الإلهية.

I. الحجب الظاهرية:

1/ حجاب العلم السائد:

1/ الحجاب الأول هو حجاب العلم السائد في المجتمعات، في الأسر، والمعروف في كل الكرة الأرضية الذي يسعى الطلبة إلى تحقيقه من علم بالظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية والظواهر الفلسفية، ثم الظواهر اللغوية من لغات يتواصل بها الناس فيما بينهم. فهذا علم لازم لتستمر الحياة على سطح الأرض، وهو يتطور بتطور البشرية سنة على سنة قرن بعد قرن، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إن هذه العلوم الظاهرية قد تكون حجابا للمريد عن فهم بعض الأشياء وفهم حقائقها، مثلا: إن تعمق الباحث في علم الظواهر الطبيعية الفيزيقية يرى أن الكون يتصرف بنفسه فيغفل عن التصرف والوجود الحقيقي لله، وهذا ما لا ينبغي أن يخالط عقيدة المريد، فإن كان ذا علم بهذه الأشياء دون أن يكون ذا علم بالعقيدة الصحيحة السوية ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ـ فإنه لن يسلك طريق الحق جل جلاله، لأن هذه العلوم الدنيوية وجب أن يصاحبها العلوم الدينية التي تغلفها وتؤطرها وتفسر ما تعسر في فهمها، أما بدون عقيدة فإن المريد لا شك سينحرف بهذه العلوم ويتجه إلى طرق غير طريق الله عز وجل، وفي الحقيقة كل هذه العلوم هي نفثة إلهية في الكون فأصلها من الله وإلى الله ولكنها ليست كعلم الله، ومع ذلك فهي في علم الله يعلمها ويطلع من شاء عليها.. وما اطلع العلماء عليها إلا بإذن الله تعالى لا بدراساتهم ولا بجدهم ولا اجتهادهم ولا بفضل الجامعات التي درسوا فيها، ولو شاء الله لحجر عقولهم فلا يستقر فيه هذا العلم، وما هذا العلم إلا علم صوري كأنه جسد بلا روح، و لكن إن ارتقى المريد في درجات العلم وغاص في روحه لا بد أن يكون له جسد وصورة ليُشَكَّل فيه علمَه، وإلا لن يستنفع لا هو ولا غيره من هذا العلم، وهنا تأتي ضرورة هذا العلم الصوري في تشكيل وتمثيل العلم الروحي الباطني فهذا يحتاج إلى هذا ليحصل النفع الأكبر. أما إن كان علم واحد فقط، فإن كان

دنيويا فإنه يؤدي إلى الانحراف وأحيانا الزيغ في العقيدة، وأما إن كان علما روحيا محضا دون جسد من علم ظاهري يتشكل فيه فإنه يبقى في معالم الغيب ولو اطلع عليه صاحبه فإنه لا يستطيع أن يستفيد منه ولا يفيد به الآخرين غير الترقي في مدارج القرب من الله وذلك الفضل الأكبر.

وهنا نختم حجاب العلم السائد وننتقل إلى الحجاب الثاني في العلم، وهو حجاب العلم الديني.

2/ حجاب العلم الديني.

كما ذكرنا فيما سبق فعلم الدين وبالأخص علم العقيدة يحفظ صاحب العلم السائد من الانحراف، لكن هذا العلم أيضا هو حاجب عن معرفة الله تعالى إن اقتصر المريد عليه وأساء فهمه، ولا شك أنه سيسيئ فهمه إذا اقتصر عليه، فالاقتصار على هذا العلم والتعمق فيه يؤدي إلى تغليف قلب المريد عن الحقائق الموجودية لله تعالى، ولكنه علم واجب إذا تخطى هذه الدرجة إلى الدرجة الثانية وهي العلوم الباطنة. لهذا فالطريق الأصح و الأصوب أن يأخذ المريد العلم كله ظاهره وباطنه ؛ فظاهره دون باطنه انحراف وزيغ، وباطنه دون ظاهره قد توقع المريد في

الزندقة. لكن الأصح أن يبدأ بظاهر العلم دون أن يتعمق فيه حتى يذوق باطنه فإذا ذاق باطنه فليتعمق في ظاهره كما شاء لإنه يكون محفوظا بإذن الله تعالى.

وعلم العقيدة هو من أخطر علوم الدين التي تستشكل في فهمها على المريد لهذا، فالعقيدة ظاهر وباطن فإن أخذ ظاهرها فكأنه حُجِب عن الله تعالى دون أن يعلم لأن في العقيدة حجاب يعلمه الفقهاء والمتخصصون فيها حيث إنهم كلما أرادوا فهم شيء إن أصابوه أخطأوا الآخر وإن أصابوا الآخر أخطأوه، فإن سار المريد في مسارهم دون شيخ يأذن له في مصلحته وينهاه عند مصلحته فإنه قد يحجب عن الله بهذا الحجاب، والحمد لله رب العالمين.

3/ حجاب الفهم الخاطئ:

والحجاب الثالث من حجب العلوم الظاهرة هو حجاب الفهم الخاطئ لها، وإن أغلب العلوم الظاهرة لا تفهم بفهمها الصحيح بل غالبا ما يُشَاع الفهم الخاطئ لها وينتشر حتى يصير كأنه الفهم الصحيح؛ فحتى في العلوم الظاهرة وجب الاستئذان من مرشد لأن إذنه يفتح أبواب الفهم السوي ويغلق عن صاحبه ظلمات الفهم الخاطئ التي قد تؤثر في عقيدته وتعرقل سيره إلى الله تعالى، أما إذا فهمها المريد فهما خاطئا وظن أنه قد أصاب في فهمها فإن ذلك يُورِثُه كِبْرًا في نفسه فيُخَيَّل له أنه قد

أحاط بالعلم فهمًا، والعلم لا يحاط به أبدًا ـ إلا بإذن الله تعالى ـ وهذا ما يجعله يبتعد عن باب العلم الحقيقي وهو الشيخ المرشد الذي إن أتاه بعلم ظاهري صَحَّحَه ودلَّه على علم الباطن، وإن أتاه المريد بلا علم دَلَّه على العلمين بتصحيح قصدهما، وإن أتاه بالعلمين أوصله إلى الله تعالى ودله على العلم به.

فلا يصيب المريد بنفسه ولو أصاب ولا يخطئ بشيخه ولو أخطأ لأن للعلم مفاتيحا، ومفاتيح العلم هم المشايخ، ومفاتيح فهم العلم هو نورهم، فبالإعراض عنهم وبالظن أنه قد جمع العلم إن تخصص بشهادات ودرس في كليات، فذلك أمر خاطئ لا يقبله العقل، فكيف بالشهادة الورقية أن تطلعك على علم مستور لا يوجد إلا في قلوب المشايخ؟

هكذا نكون قد فَسَّرْنا خطورة الفهم الخاطئ للعلم الظاهر بصنفيه العلم الدنيوي والعلم الديني، وذكرنا إن اكتفى المريد بهذا العلم وأساء فهمه له على أنه هو كل العلم، فأنه سيحرم من حقيقة العلم. ثم ذكرنا أهمية المشايخ في ذلك فإن سلم لهم المريد فإنه ينتقل إلى ثلاثة مستويات أخرى من العلم وهي علوم الباطن.

II. الحجب الباطنية:

4/ حجاب العلم بالشيخ:

المستوى الأول من علم الباطن هو العلم بالشيخ وبحقيقته وبفيوضات قلبه ومعارج روحه، ونظرات عينه، ومسامع أذنه، وتجليات حقيقته. ويصير المريد عالما بشيخه إذا أحبه وسلم له واتصل به فيراه بذلك الاتصال فيعرفه، وأما المحبة بأن لا يرى محبة فوق محبته فيحبه، وأما التسليم بأن لا يرى منفعة من غيره فيُسَلِّم له، وأما الاتصال فيتصل بروحه فيراه فيعرفه فيتلقى منه علومه أو بعضا منها،

فأول باب للعلم هو الاتصال بالشيخ ومعرفته والاستمداد منه فهذا مفتاح العلم الباطن الذي يعرف المريد بحقيقة العلوم المتصلة بالله والموصلة إليه لا كما ذكرنا في المرحلة السابقة من علوم الظاهر المتصلة بالأكوان وبالظواهر فهذا هو الحجاب الأول من علم الباطن والحمد لله رب العالمين.

5/ حجاب القواعد:

ننتقل للحجاب الثاني من علوم الباطن في باب العلم وهو حجاب القواعد العقلية ، وهذا الحجاب لا يجتازه المريد إلا بعد صحبة طويلة واتصال باطني بالشيخ

لأن هذا الحجاب يجعل حدود فكر المريد مقيدا بمعالم معينة ولا يصل فكره إلى فهم الحكم الإلهية والغوص في المعارج المحمدية، إذ أن عقله تجده مأسورا لهذه القواعد وهي قواعد العلم المحاط به، سواء أكان هذا العلم علما ظاهريا أم علما باطنيا، فتجد للمريد فهما ضيقا لعلم الظاهر وعلم الباطن. وهذه من الحاجة إلى صحبة شيخه في الأصل لأن المريد ولو تجلت عليه فيوضات من الحكمة ـ وذلك راجع إلى المستوى السابق وهو الاتصال بالشيخ ـ ونُفِث بباطنه من المعارف الذوقية ما نفث فإنه لا يصل إلى فهمها ولا تأويلها ولا معرفة حقيقة ما ترمي إليه، لهذا فيرجع إلى شيخه فيحكيها له فيفسرها التفسير الصحيح له. ومهما اجتهد المريد في فهمها فإنه لا يصل إلى معناها لأن معناها نور وهو عن ذلك النور محجوب بحجاب القواعد والمجسمات، فيحاول فهم تلك الأنوار وتلك الحِكَم بمجسماتها وقواعدها فلا يصيب لها فهمًا، ويظل الشيخ يفسر للمريد ويرقيه في مقامات هذا الحجاب درجة درجة وهو حجاب كثيف ومقاماته كثيرة، ومهما ترقى المريد فإنه لا يجتازه إلا بإذن شيخه وتوقيعه له على ذلك، فإذا اجتازه فقد نجا من إساءة الفهم لما قد ألقي إليه في الباطن.

فمن انفصل عن الشيخ قبل أن ينكشف له هذا الحجاب وكان ذا كشف واتصال فإنه لا شك يقع في سوء فهم ما يُلْقى إليه فينحرف ويزيغ عن الطريق

المستقيم وهذا كثيرا ما حصل إلا أن يتغمده الله برحمته فيُرْجِعه إلى شيخه بعد أن التفت عنه، أو فيهلك في ظلمات هذا الحجاب. لأن علم الباطن له مفتاح ونور وبرهان يفهم به غير القواعد والمجسمات التي تُفْهَم بها باقي العلوم الظاهرية المنحصرة في فهمها على وجه واحد، لأن مشاهدات المريد أو خطاباته في الباطن فيستحيل أن يكون لها وجه واحد وبذلك فإنها لا تفهم بالقواعد؛ فالقواعد الصورية يُفْهَم بها العلم ذو الوجه الواحد، أما العلم الكثير الأوجه فإنه يفهم ببرهان من الله تعالى؛ وهذا البرهان في قلوب أولياءه الصالحين لأنهم قد سلكوا الطريق واجتازوا هذا الحجاب لأنهم باجتيازهم لهذا الحجاب يستطيعون أن يفهموا المريد حقيقة ما عُنِي به ذلك الخطاب أو تلك المشاهدة كي يسلم من ضرره، ولا يحجب بقواعده عن باطنه.

وما دام المريد مع الشيخ فليوقن أنه لازال محجوبا بهذا الحجاب، محتاجا إلى فهم الشيخ وبرهانه، ومتيقنا أن فهمه سيهلكه ويحجبه عن حقيقة العلم. فإذا وضعنا علما يُفْهَم بالقواعد في جهة وعلم الباطن في جهة أخرى فإن طريقة فهم كل واحد منهما مختلف عن طريقة فهم الآخر تماما، فإذا جسمنا هذا الكلام في علم الرياضيات مثلا وطلبنا من المريد أن يجمع بين رقمين فكان الرقم الأول 5 والرقم الثاني 5 كذلك، فهل سنجد جوابا لهذه العملية غير جواب واحد لا أبدا فجوابها هو

10 ولو اجتمع العالمين لأقروا ذلك. وبالمقابل وضعنا للمريد خطابا من قلبه إلى قلب شيخه يقول فيه: "ضع نفسك في محل القرب وأيقن باتصالك" فإن فَهِمَهَا المريد كما فهم العملية السابقة سيستنتج من كلام الشيخ على أنه يقول له: "إنك نفسك طاهرة فاقترب بها من الله عز وجل وأيقن باتصالك فاتصالك ومشاهدتك صحيحة كاملة"، ولو فهمها المريد هذا الفهم الصوري بالقواعد الفكرية فإنه سيعتقد في نفسه تمام التربية وسيهلك، ولو سألنا كل واحد فإنه سيبدي فهما مغايرا عن الآخر، ولو أرجعها للشيخ لفسرها له بطريقة معاكسة تماما ولوجد عنده من فهومات هذا الكلام ما لو أمضى يشرح فيه كل فهم بوجهه فإنه لن ينتهي من ذلك، لهذا فَفَهْمُ الباطن يكون بالبرهان والنور الإلهي وليس بالقواعد المحصورة، والحمد لله رب العالمين..

6/ حجاب الإدراك:

الكلام الآن على الحجاب السادس من حجب العلم والأخير من الحجب العلم الباطن وهو حجاب الإدراك، وينقسم هذا الحجاب إلى قسمين: حجاب الإدراك الحسي، وحجاب الإدراك الباطني أو الروحي، فأما حجاب الإدراك الحسي فإنه حجاب ظلماني يجعل علمنا مقتصرا على الحس وعلى الواقع المحدد والمقيد. وأما

حاجب الإدراك الباطني فإنه حجاب نوراني يحجب المريد عن إدراك حقيقة الموجود، وهذا الحجاب الذي سنفصل فيه الكلام هو حجاب الإدراك الباطني لأن تلقي المريد ومشاهداته وكشوفاته وتجلياته هي حجاب له عن إدراك الله تعالى ـ ما لم تكن بإذن مرشد يقيه شرها ـ لأن الكشوفات أكثرها ترجع على المريد بالضرر إلا ما تم تحصينه فيه من شيخه وما فيه علم ومنفعة للناس، أما التجليات التي ينفرد بها المريد ولو كانت عن طريق شيخه فإنها حجاب له عن إدراك العلم الحقيقي، لأنها تكون علوما رمزية غير واضحة في الفهم لا تتجسد في الحروف ولا تظهر في المعاني فتحجب المريد عن الله تعالى بالأسرار التي فيها والكرامات العظيمة الذي يُخْتَصُّ بها باطن المريد.

ففي هذه المرحلة تجد المريد قد تحررت روحه وتحرر جسده فتتجلى العلوم على باطنه لتتجلى الكرامات على ظاهره، وإذا تجلت الكرامات على ظاهره فإنه يحجب حجابا جزئيا عن الله تعالى لأنه يعتقد بأن تلك قدرة الله فيبني علمه على ذاك الأساس، وهي في الحقيقة ليست قدرة الله كلية لأن قدرة الله لا تنحصر في تلك الكرامات مهما عَظُمِت وتلك الإشارات مهما أَبْلَغَت وتلك العلوم مهما أيْنَعَت وفاضت، فيخطئ المريد في إصابته هته رغم أن ظاهر القول مصيب ولكن باطنه مخطئ. ونحن هنا نتكلم عن مقامات عالية جدا في فهم دقائق القدرة الإلهية والعلوم الربانية ولسنا في مقام أدنى من ذلك حيث يَنْسِبُ المريد ذلك لنفسه فهذا

الآن متجاوز، ولكن الحديث في معنى فهم علم الله المتجسد في الكرامات التي أصلها من الإشارات القائمة بقدرة الله على أنها تلك قدرته فيرى المريد من عِظَمِها وفائق تَصَرُّفها ما يظن أنها تلك قدرة الله تجلت عليه، وما تلك قدرة الله، بل إن قدرة الله أكبر من ذلك، ولا يطيق المريد في هذه المرحلة فهْمًا لها حتى تستوي عنده الكرامة مع العادة، فإن كانت الكرامة قدرة من الله فإن العادة قدرة الله كذلك، ومن الذي سَيَّر الكون وجعل له قوانين لا تخرق؟ أليست تلك قدرة الله التي جعلت تلك القوانين الكونية غير قابلة للاختراق؟، وتلك قدرته أيضا التي أعطت للمريد الإذن في اختراقها، فالعلم هنا لا يقتصر على الكرامات وإلا حُجِب المريد، بل هو ظاهر في كل ما يخطر على قلب المريد من بديع الصُّنْع الإلهي للأكوان الذي خَلَق فَأَتْقَن، ثم حَكَم بقدرته في مُلْكِه، ثم حَكَّمَ خلقه بقدرته في مُلْكِه لخلق معالم القدرة المتصرفة في الكون المَحْكُوم بالقدرة الإلهية. فإذا وصل المريد لدرجة يتلقى فيها العلوم إشارات، والتجليات كرامات، فعليه أن يحذر من أن يقع في هذا الخطأ العقدي الذي يمس صفات الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

7/ حجاب العلم الإلهي:

فهذه العلوم الظاهرة جاءت مجتمعة متفرقة، وعلوم الباطن جاءت مشيرة بفروع متفرقة، أما علم الله فهو معرفة واحدة لا تَفَرُّق ولا زيغ فيها فإذا قطع المريد كل درجات هذا العلم وفهم إشارات القدرة الباطنة دخل بإذن الله وقدرته إلى معرفة الله الواحدة، وهذه المعرفة تحجب المريد عن معرفة الله كما ينبغي أن يُعْرَف به لأن المعرفة صفة مخلوقة في الكون لاتصالها بصفة العليم المتجلية في الله تعالى، فإذا اتصل قلب المريد بالمعرفة الواحدة فإنها تكون حجابا له من الاتصال بمعالم صفة العليم.

وهذه المعرفة تجد فيها ما يغني المريد عن كل العلوم ظاهرة كانت أو باطنة ولكن تقف حائلا بينه وبين الله تعالى لأنها تتجلى عليه ببعض معالم علم الله فَيَغْرَق المريد في مشاهدتها حتى لا يستطيع منها انفكاكا فيظن أنه قد بلغ المعرفة التي ليست بعدها معرفة فيُحْجَب بالمعرفة المُسْتَمِّدة من صفة علم الله تعالى عن الله تعالى وعن علمه، والأصل هنا هو الحجاب لأن المريد لا يتجاوز هذه المعرفة ليصل إلى علم الله إلا أن تتجلى عليه بعض حقائق علم الله عن طريق هذه المعرفة.

ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصية في ذلك أيضا لأنه قد يرقى من هذه المعرفة إلى صفة العليم فَيُسْقَى منها فيتجلى في المعرفة فَتُشْرِق باسمه فلا يطيق المريد اجتيازا لهذا الحجاب إلا أن يعلم أن هذه المعرفة ليست بعلم الله تعالى وإنما هي من علمه الذي سخره لخاصة عباده، لأنه تعالى قد سخر علوم مختلفة كما ذكرنا؛ فعلم الطبيعة سخره لعامة عباده، علم المشايخ قد سخره لخاصة من ارتضاهم لسلوك طريقه، علم الإشارات اختص به خاصة عباده. و المعرفة الإلهية الواحدة التي هي ليست علم الله تعالى قد اختص بها كذلك خاصة خاصته الذين اتصلت قلوبهم بقلب سيدنا محمد فليس بينه وبينهم اسم ولا صفة، بل امتزجت قلوبهم بقلبه، ولا تطيق القلوب امتزاجا بقلب سيدنا محمد بل تذوب إذا اقتربت من نوره فتلك حدود المعرفة التي يصل إليها المريد.

العلاج: لكن لكي لا يحجب عن الله تعالى عليه أن يوقن بأن علم الله ليس بهذه المعرفة بل إنه يفوقها بلا درجات، هو علم مطلق لا تحده معرفة، فتلك المعرفة التي يسقى منها المريد هي في علم الله وليست جزءا منه أو قطعة منه أو تجل له، ولكنها تشمل كل ما يطيق العبد معرفته من عوالم داخل الزمان وخارجه، وداخل المكان وخارجه، وداخل المخلوقات وخارجها، بل وكل ما يطيق الوصول إليه. فيحجب بحجاب المعرفة ولكن يكشف بيقين المعرفة، وهذا اليقين هو تنزه علم الله في صفاته

أن تطيقها روح تلك المعرفة التي غاص فيها، فلا يَخْرُج منها حتى يُكْتَبَ له الفناء عنها فيها، والفناء فيها عنها، فيفنى فيها بلا فناء ولكن فناءه فان في الله عز وجل، والحمد لله الذي تنزل بالمعرفة على عباده فيما يطيقون، والحمد لله الذي تنزه بعلمه بما هو أهل له، والحمد لله رب العالمين.

خامسا: باب الحجب الروحية:

ننتقل إلى الباب الخامس من حجب المريد بينه وبين نفسه، وهي الحجب الروحية، الروح نفخة إلهية في الإنسان قديمة بالبداية خلقت في عالم الأرواح وأَقَرَّت بشهادة الربوبية لله عز وجل وسمعت خطاب الله دون حجاب ولا واسطة وحصلت عليها تجليات أنوار الله دون حجاب حسي كيفما شاء الله وكما أراد، لكنها أرسلت للاختبار في عالم الدنيا هل سَتُقِرُّ عملا بتلك الشهادة التي شَهِدَتْهَا في عالم الأرواح أم أنها ستتولى وتُوَلِّي الأدبار، فكان أول حجاب لها في هذا العالم هو حجاب الذات الذي حُجِبَت به الروح عن الاتصال بمشاهدة تجليات الله عز وجل وأنواره كما كانت في عالمها الأول وذلك بطينية الذات وظلمانية النفس.

i. حجب الاتصال:

1/ حجاب طينية الذات وظلمانية النفس:

وهذا الحجاب هو أول وأقوى الحجب الذي يجتازه المريد بواسطة الإذن المحمدي والسلطان الإلهي والشيخ المرشد لأن الروح تكون مثل بذرة نورانية في الذات تغطيها النفس وشهواتها بظلمانية قاتمة فتفصل اتصالها بالجسد، وإذا لم

تتصل الروح بالجسد فإنه لا يُسْقَى من أنوارها ولا يحيا بحياتها بل يبقى طينا يَجِفُّ ويَتَشَقَّق مع مرور الزمن.

وهناك طريقتان لإحياء نور الروح في الجسد:

- **ـ طريق الزهد:** وهي الطريقة الأولى وتتوخى إزالة ظلمانية النفس وشهواتها حتى تصير النفس شفافة تسمح بمرور ضوء الروح إلى الجسد فَيُسْقى حينئذ الجسد من أنوارها فيحيا ويتوهج ويمتزج بالروح فيصير الإنسان حيا، ولا يتحقق المريد خاصة أو الإنسان بشكل عام بالحياة حتى تمتزج نورانيته مع طينيته، إذَّاكَ يصير له جسدا روحيا ولا تبقى الطينية إلا كقشرة تغلف الجسد ليظهر في صورته البشرية.
- **ـ طريق الشكر:** و هي الطريقة الثانية وترتكز على صحبة شيخ مرشد يخاطب الروح مباشرة مهما كانت ظلمانية النفس قاتمة فإنه يذكرها بعهد الله عز وجل فتشتاق الروح وتحن إلى خطاب الله تعالى لأنه يخاطبها بخطابه فتتوهج وتستضيء شيئا فشيئا حتى تذوب حجب النفس و ظلمانيتها وتمتزج بالذات.

وطريقة الشكر أيسر من طريقة الزهد وأكثرها سهولة واختصارا للوقت لأن الإنسان لا يتغلب على ظلمانية نفسه في طريق الزهد حتى يُمْضِيَ سنوات في مجاهداتها المريرة وفي التعب واستيقاظ الليل وصوم النهار وأحيانا تقليل الأكل لدرجة يضعف فيها الجسد ومنع النكاح، أما الطريق الثاني فقد سمي بطريق الشكر لأن الروح إذا ما تذكرت خطاب الله تشكره وتحمده على تلك النعمة أن خاطبها مباشرة فَتَفِيض نورانيتها شوقا وشكرا لله فتذوب حجب النفس بسرعة كبيرة ويحظى المريد بمراده رغم أن جسده لا يبذل جهدا كبيرا في ذلك.

فطريق الزهد يعتمد على عمل الجسم، وطريق الشكر يعتمد على شوق الروح؛ وشوق الروح أكثر فَيْضًا وأَلَذّ وَجْدًا للمريد من معاناة جسده بالنقص والحرمان، و طريق الزهد أسبق من طريق الشكر حيث جاء بها الأنبياء من قبل فكان أصحابهم صوَّامُون قوَّامُون معرضون عن العيش، فَبُعِث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واخْتُصَّ بخصائص كثيرة، ومن أفضلها طريق الشكر لهذا فمن اتبعها فقد اتبع طريق وسُنَّة سيدنا محمد، وأما من اتبع طريق الزهد فإما بجهل بخصوصية سيدنا محمد أو اتباعا للأنبياء الذين كانوا قبله. ولكن كلا منهما يُوصِل إلى امتزاج الروح بالذات لأن ما يحجب الروح عن الذات ليست الطينية: فالطينية تُسْقَى بأنوار الروح فَتُنْبت كلأً أخضر وهو محبة الله واستنارة الوَجْد بالاتصال به،

بل إن حقيقة ما يحجب بذرة الروح ويضعف نورانيتها ويقطعها عن الذات هي ظلمانية النفس وشهواتها؛ فإذا وجد المريد شيخا قد تمسك بسنة سيدنا محمد ظاهرا بالاقتداء به وباطنا بسلوك طريقته وهي طريق الشكر وجب عليه التمسك به، فقد وجد مفتاح الفلاح والحمد لله رب العالمين.

2/ حجاب الأجسام والمحسوسات:

أما الحجاب الثاني من حجب الروح هو حجاب الأجسام و المحسوسات التي تجعل الذات في يقظة والروح في رقاد لأن الأجسام تحيي الذوات، والأنوار تحيي الأرواح فإن كانت الأجسام تحجب الذات فإنها تحجب الروح كذلك قبل أن تتحرر، وإن تحررت في مراحلها الأولى فإن الأجسام تُضْعِف نورانيتها وتُقَلِّص من حريتها في التنقل والسفر ، وهنا يقصد به السفر الحقيقي الكامل بالروح الذي تسافر به الروح بذاتها الروحية وليست بالطينية، كما أن المحسوسات تضاعف شهوات النفس مما يزيد الحجاب عن الروح سُمْكا، وكلما أرادت الروح السفر ذَكَّرَتْها النفس أن لها حجبا وأظهرتها لها على أنها حقيقية. فأما إذا نظرت الروح بعين بصيرتها فإنها ترى عالم الدنيا وَهْمًا يُمْكِنُها اجتيازه إلى عالم الروح،

أما قبل ذلك فإن عالم الحس وعالم الدنيا يكونان حجابا للروح للسفر في عالم الملكوت وعالم الأرواح وحتى إن تحررت الروح في مراحلها الأولى فإنها لا تستطيع أن تغادر عالم الدنيا أو عالم الحس بل تسافر فيه فقط ظنا منها على أنه حجاب يحجبها عن عالم الأرواح، حيث كلما تحررت روح التحققت بمكانها فيه.

العلاج: إن أصل هذا الحجاب هو تعلق النفس بعالم الحس فذلك يضع حجابا ظلمانيا على الروح يجعلها لا تخترق عالم الحس إلى عالم الملكوت، وليجتاز المريد هذه المرحلة عليه أن يقطع تعلقاتها الزائدة بالعالم المادي المحسوس، ويربط الروح ببارئها فإنه تعالى يستطيع أن يخرق لها هذا الحجاب ويسافر بها في الزمان المكان كما شاء بقدرته، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في البرزخ الذي يفصل بين العوالم، فإن كان برزخ النفس يمنع الروح من التحرر فإن برزخ المحسوسات يمنع الروح من السفر إلى عالم الملكوت ويجعلها محجوزة داخله، إلا أن الشيخ يستطيع أن يتجاوز بمريديه هذه المرحلة عن طريق تقوية صلته بالله وإيقاظ نار الهمة والمحبة في قلبه، فكلما زاد توجه الروح الى الله عز وجل فَنِيَت المحسوسات في نظرها درجة درجة بداية من فناء الحس إلى فناء الملكوت إلى فناء الجبروت إلى الفناء في أنوار الله تعالى إلى الفناء في ذات الله تعالى دون شكل ولا واسطة ولا حجاب ولا زمان ولا مكان.

ثم تجتاز الروح هذا البرزخ وهو برزخ المحسوسات أيضا بإذن مرشدها ومفتاحه وسلطانه الذي يجعلها تنفذ من أقطار السماوات والأرض كما قال الله عز وجل: "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أ ن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان"[6] فذلك السلطان هو إذن المرشد وقوة روحانيته التي تحمل أرواح مريديه للسفر في العوالم، وتخرق لها الحجب، حجابًا حجابًا، حتى تصل الروح إلى الله عز وجل، فإذا اجتازت هذين الحجابين فإنها تكون محررة متصلة بالعوالم، مكشوفة عن عالم الحجاب وعن عالمي الملك والملكوت لكنها غير متصلة بالله تعالى بعد، والحمد لله رب العالمين.

3/ حجاب اليقين في الشيخ:

الحجاب الثالث من حجب الروح وهو حجاب اليقين في الله تعالى وفي الشيخ لأن الروح لا تسافر في معارج القرب من الله تعالى حتى تتيقن في مرشدها اليقين الكامل وتسلم له نفسها بالخضوع على أنه شيخ مرشد يستطيع أن يقودها في معارج القرب من الله تعالى ويرقيها في مدارج الكمالات، وإلا فإن الروح رغم تحررها فإنها لا تسافر أو تظل محجوبة عن مرشدها وتكون مُعَرَّضة للخطر في عالم الروح وهو عالم فسيح تُحْدق به الأخطار من كل جهة وخصوصا قبل كمال المريد، ولكن إذا تيقنت

_[6]

في الشيخ وسلمت له صارت في حصنه وأمانه، وسافرت بأمان إلى عوالم الله تعالى وإلى حضرة الله تعالى في اليقظة والمنام.

فاتصال الروح بالشيخ هو أول معراج يحدث للمريد فإن اتصلت الروح بالشيخ اتصالا دائما قويا سارت وسافرت إلى أبعد مدى مكشوفة مُتَيَقِّة، و لا تنال هذا اليقين حتى تتيقن في الشيخ وتسلك طريقه ومنهجه وتبعد عن كل ما يفصلها عنه في عالم الظاهر أو في عالم الباطن، وإذا كان لها يقين في الشيخ ثم سافرت معه في عالم الباطن ثم إذا تزعزع يقينها فإن الروح تكون في خطر قد لا ترجع بأمان للذات أما إذا كانت في الذات وتزعزع يقينها فإنها لا تسافر مجددا وتحجب بعدم اليقين في الشيخ عن السفر الحقيقي الروحي، ولكنها قد تسافر في مستويات سابقة في عالم المحسوسات وعالم الدنيا هذا إن أريد بها شرا، أما إن أراد الله بها خيرا فإنه يُرْجِعُها للجسد كما كانت ويقطع عنها الاتصال نهائيا لأن الروح لا تسافر من عالم المُلْك إلى عالم المَلَكُوت إلا بسلطان وهو الشيخ. ولا تسافر بالشيخ إلا بيقين وهو الطاعة والتسليم فإن اجتاز المريد هذا الحجاب ترقت روحه من الأسر في الجسد إلى السفر في عالم الملك إلى السفر في عالم الملكوت إلى السفر في روح الشيخ.

والسفر في روح الشيخ هو أعلى درجة من السفر في عالم الملكوت لأن السفر في عالم الملكوت هو اتصال بالمخلوقات، والسفر في روح الشيخ هو سفر في الخالق. ولا يجتاز هذا الحجاب حتى يَقِرَّ المريد على هذه المقامات في ظاهره وهو مقام اليقين والطاعة والتسليم ثم الفناء في روح الشيخ فإذا تحقق هذا في ظاهر المريد تحقق في باطنه وانتقل إلى المستوى الثالث بعد قطع واجتياز الحجب الثلاثة الأولى. والسفر في روح الشيخ هو باب آخر من أبواب المعراج والتلقي والاتصال لكن الاتصال هنا ينتقل من مستواه بالاتصال بالمخلوقات ومعرفة أسرارها والتعرف عليها إلى الاتصال بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتعرف عليه ـ وهذا هو هدف المريد وليس المرحلة السابقة ـ ويبدأ حينها بالاتصال بقلب سيدنا محمد صلى الله وينتقل بعدها إلى حجب المعرفة.

كما أن هذا المستوى يحتم على المريد التعرف على شيخه بداية ليرقيه من درجة الاتصال بالمخلوقات إلى درجة الاتصال بالخالق لكن لابد له أن يعرف المخلوقات ويتصل بها من قبل، وإلا كيف يعرف الخالق قبل أن يعرف مخلوقاته؟ لهذا فإن هذا المستوى ليس غاية إنما وسيلة للتعرف على الله عزوجل، والحمد لله رب العالمين.

ii. حجب المعرفة:

4/ حجاب المريد نفسه:

ننتقل بإذن الله إلى حجب المعرفة وأول حجاب للمعرفة بعد الاتصال بالشيخ هو نفس المريد حيث أنه إذا اتصل بالشيخ وسار يسافر في ذاته فإن المعارف التي تصب على الشيخ تصب عليه أو يصب عليه بعضها لكنه إن كان ما زال يرى نفسه في ذات شيخه فإنه لا يطيق تلك المعرفة فإما يقطع عنه الشيخ مدد تلك المعرفة كي لا يختلط نور تلك المعرفة مع ظلام نفسه وإما يحجب عنها حتى يتحقق بذلك المقام وهو مقام مسح النفس بالشيخ فإذا نظر المريد إلى شيخه وقرت عينه به فإنه تلقائيا تنتفي نفسه وتذوب ولذلك ألم ومعاناة وهي مرحلة صعبة في طريق المريد لأن النفس مهما صغرت ومهما خضعت ومهما اكتسبت من الصفات الحميدة وتخلت عن الصفات الرذيلة فإنها ترفض أن تفقد وتموت وتفنى نهائيا وتلك نزعة بشرية في المريد حيث إنه إذا غلبت عليه فيدعي أنه خاضع للشيخ مُسَلِّم له مكتسب لصفاته تارك لغيره، لكن مع ذلك هو في ذاته ويستمد من معرفته بسبب هذا الخضوع وهذه المجاهدة لأن النفس ترفض رفضا تاما و كليا أن تفنى وتموت ولهذا تنقلب وتطيع ما يريده المريد وتتقمص كل صفات الخير وتترك كل صفات الشر وهذه النفس الكاملة

التي اكتملت مقاماتها وليست بعد بالنفس الفانية. ولا ينتقل المريد من ذاك المقام إلى ذاك المقام حتى تنتقل نفسه من هذا إلى ذاك وهي أصعب مرحلة يمر منها المريد في طريقه لأن تغيير النفس وتحويلها أيسر من دحضها وتفنيدها وفناءها.

ولكي ينتقل المريد بين هتين المرحلتين فله أشواط طويلة يقطعها بينهم بداية أن يترك اعتقاده أن نفسه صارت جامعة لمحاسن الأخلاق طائعة خاضعة للشيخ، بل عليه أن يترك نفسه ويتوجه إلى الشيخ ثم أن لا يرى له وجودا مع شيخه فتُخْنَق النفس تدريجيا فأحيانا لشهور وأحيانا لسنوات حتى تنتفي وإذا انتفت انتفى وجود المريد وزال الحجاب بينه وبين المعرفة والاتصال وصار كل ما ينزل على شيخه ينزل عليه لأنه هو شيخه، والمعرفة لا تنزل إلا على ذات واحدة لأن أصلها من الذات الأحدية، والحمد لله رب العالمين.

5/ حجاب الشيخ نفسه:

أما الحجاب الثاني من حجب معرفة الروح هو الشيخ نفسه لأنه إذا فنت نفس المريد و فني في الحجاب السابق وبقي بذات شيخه، فإن ذات شيخه تصير حائلا بينه وبين المعرفة والاتصال؛ فالمعرفة أصلها من القديم والاتصال اتصال بالقديم، والذات لا تطيق ذلك بل تقلل من نورانية الاتصال، وأحيانا يشغل بذات

شيخه التي هي ذاته لما يتنزل فيها من أنوار ومشاهدات عن المشاهدات والأنوار والتجليات نفسها، فصار لزاما على المريد أن يفنى عن ذات شيخه في المعرفة والتجليات والهدف الأكبر هو الفناء في الله عز وجل لأن هذه أكبر ما تحققه الروح حيث تعود لأصلها، ولا يفنى في المعرفة عن ذات شيخه حتى تذوب ذاته في المعرفة فإذا توجه إلى المعرفة؛ والمعرفة هنا هي الاتصال وليس العلم، لأن الاتصال معرفة والوصول إلى الله معرفة به والمعرفة به وصول إليه، والحمد لله رب العالمين

6/ حجاب المعرفة نفسها:

أما الحجاب الثالث من حجب المعرفة والاتصال هي المعرفة نفسها فإذا فنا عن ذاته في المعرفة حجبته تنزلات المعرفة وتجلياتها عن تجليات الله عز وجل وذلك لأن المعرفة من تجلياته والاتصال من تجلياته، ولكنها من تجلي المريد عليه به وليس منه، فهو المنزه عن كل شيء والمنزه على أن يخاطب العبد بالاتصال أو بالمعرفة ولكنها تجل لحضرته التي يطيقها المريد ولا يطيق أكثر منها حتى تزول كحجاب بينه وبين الله، فيتصل به دون اتصال لأن الاتصال في حد ذاته نقص للواصل وللموصول به وذاك دليل على البُعْد والجفاء والله منزه عن ذلك أيضا، فإذا اتصل المريد بالله دون اتصال ـ ولكن ليس دون اتصال تام لأن العبد من صفاته النقص والنقص واجب

على العبد ومنزه عن الخالق ـ لهذا فإن الخالق يتصل بعبده دون اتصال، والعبد يحتاج إلى هذا الاتصال ليطيق أنوار ذات الله تعالى وخطابه، فإذا وصل المريد إلى هذه المرحلة وصل روحا بلا ذات وقد فنت ذاته في ذات شيخه، و ذات شيخه وفنت في المعرفة والمعرفة بالاتصال بالله لتنزيهه عم ذلك فيعبر من هذا الحجاب إذا فتحت بابها له وهو المقام الأخير وهو الحجاب الأعظم.

7/ حجاب النظر إلى ذات الله:

وهو الحجاب الروحي السابع حجاب النظر إلى ذات الله تعالى. فهنا لم يبق بينه وبين ربه سوى الحجاب الأعظم الذي لا يجتازه أحد من الخلائق إلا أن يفنى فيه ويحيى به فيبقى ببقاءِه ويُشَاهدُ الذات بأنواره. وهذا الحجاب هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المقام تضيق العبارة ويتسع المجال فإذا وصل المريد إلى مرحلة يُشَاهِد فيها ذات الله تعالى بحجاب أنوار سيدنا محمد فقد صار بالله عارفًا و يُغْنِيه بذلك حاله عن هذا المقام والحمد لله رب العالمين.

ولقد اختصرنا وبَيَّنَا ما ينفع المريد، أما ما يتجلى به الله عليه فتلك من خصوصيته التي لا يعرفها غير الله تعالى وكل يتجلى له الحجاب في شأن ويظل كذلك إلى أن يلقى الله تعالى، والحمد لله رب العالمين الذي حجب العباد بحجاب عبده

وكاشفهم على حجابه فنظروا به إلى جلاله وجماله و فَنَوْا في عظمته واندثروا في تجليات هاءه، والحمد لله رب العالمين في البدء والختام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المَنْهَجُ الفَرِيد في كَشْف حُجُب المُرِيد

فهرس الكتاب:

المرحلة الأولى/ بين المريد ونفسه: